من أعلام الفكر التربوي الإسلامي

دراسات في الفكر التربوي الإسلامي(١)

الجزء الأول

من أعلام الفكر التربوي الإسلامي

دكتور

نافذ سليمان الجعب

أصول التربية– جامعة الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الفكر التربوي
لدي أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذى أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً ، فهدى به أمة بلغت فى المجد أوجاً ، ونعمت البشرية فى ظله حيناً من الدهر ، ورفلت فى ثياب الفضيلة كأحسن ما يكون الطهر، أما بعد :

فلقد جاء الإسلام إلى هذه الدنيا وهى غارقة فى حمأة الرذيلة وديجور الظلام ، فأخذ بيدها إلى شطآن السلامة والأمان ، وصنع منها إكليل غار على جبين البشرية ، منذ ولادتها إلى أن تقوم الساعة ، ذلك أنه ربى أنفسا كبارا تستصغر الصعاب، وتهوى اقتحام المجاهل، وغايتها فى ذلك كله إرضاء ربها لا لذة قاصرة فى هذه الدنيا العاجلة..

ومدرسة النبوة التى كان شعارها ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح ٢٩)

من هـذه المدرسـة الربانيـة تخـرج المئـات مـن الرجـال الأفـذاذ ، والذين تركوا بصـماتهم واضـحة علـى صـفحات التـاريخ الإسـلامى والبشرى ، فى كل مكان وطأته أقدامهم أو حطت فيه رحالهم

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومن بين هؤلاء الأفذاذ وفى غرتهم كان الفاروق أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) الذى كما وصـفته عائشـة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وصـفاً جامعاً فقالت:" كان نسـيجَ وحـده "[1] ، فهـو الشـجاع الـذى تخشـاه الجبابرة ، والرحيم الذى يطمع فى رحمته كل مظلوم وإن كان كـافراً، والعبقرى الذى رسم معالم الدولة الإسلامية وارتقى بها لتصبح الدولـة العظمى الوحيدة فى زمانه .

ونتناول فى هذا البحث شخصية عمر بـن الخطـاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مـن أحد جوانبها المتميزة وهو الفكر التربوى ، لنرى مـن خلالـه النظريـة الإسلامية المتكاملة فى التربية ، والتى تتناول شئون تربيـة الفـرد قبـل وجوده جنيناً فى بطن أمه، وتسير معه طفلاً وشاباً ومعلماً .

وسنعرض لذلك كله من خلال تمهيد وثلاث مباحث وهى :

[1] الجزري ،أبو السعادات المبارك بن محمد(١٩٧٩): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، لبنان.ج٥، ص٣٤٥.

تمهيد : شخصية عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).

المبحث الأول :

المعلم في الفكر التربوي لعمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)

المبحث الثاني :

المتعلم في الفكر التربوي لعمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)

المبحث الثالث :

المنهاج في الفكر التربوي لعمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)

آملين من الله أن يوفقنا لإزاحة الستار عن هذه الدرر الكامنة في فكر عمر بن الخطاب التربوي ليدرك المسلمون أنهم الأسبق والأقدر في هذا المجال.

والله المستعان وعليه التكلان ،،

د/ نافذ الجعب

تمهيد

شخصية عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي[1] ، ولد قبل حرب الفجار الأعظم بأربع سنين وأسلم وهو ابن ست وعشرين ، وكناه النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أبا حفص ولقبه الفاروق وتوفي سنة ثلاث وعشرين للهجرة.

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) في السنة الثالثة عشرة للهجرة وبقي فيها عشر سنين، وقد فتح الله على يديه بلاد الفرس والروم وعظم فيه شأن الإسلام قوة ومساحة وتقدماً.

قال أهل العلم بالسير[2]: كان عمر بن الخطاب من المهاجرين الأولين ممن صلى إلى القبلتين وشهد بدراً والحديبية وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما أسلم أعز الله به الإسلام وهاجر علانية ، وتوفي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنه راض وبشره بالجنة، وأخبره أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، وأن رضاه وغضبه عدل، وأن الشيطان يفر منه، وأن الله عز وجل أعز به الدين واستبشر أهل السماء بإسلامه وسماه عبقرياً ومحدثاً وسراج أهل الجنة، وأنه

[1] العسقلاني، ابن حجر( ) : الإصابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٧٦.
[2] المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص١٤٩.

يعيش حميداً، ويموت شهيداً، وأنه رجل لا يحب الباطل ولو كان بعده نبي لكان عمر، وهو أول من كتب التاريخ للمسلمين من الهجرة، وأول من حض على جمع القرآن، وأول من جمع الناس على قيام رمضان، وأول من عس في عمله، وحمل الدرة وأدب بها، ووضع الخراج ومصر الأمصار واستقضى القضاة، ودون الدواوين وفرض الأعطية، وحج بأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حجة حجها، وأول من سمي بأمير المؤمنين، وفتح الله على يديه في سني خلافته بلاد الفرس والروم وفلسطين وحج بالناس عشر حجج متوالية، ولما ولي بقي على حاله قبل الولاية في لباسه وزيه، وأفعاله وتواضعه، يسير مفرداً في حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب لم يغيره الأمر ولم تبطره النعمة ولا استطال على مؤمن بلسانه، ولا حابي أحداً في الحق لمنزلته، لا يطمع الشريف في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله، ولا يخاف في الله لومة لائم، وأنزل نفسه من مال الله منزلة رجل من المسلمين وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين.

وهو أول من اتخذ بيت مال، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات، وكانوا قبل ذلك يصلون أربعاً وخمساً وستاً[١].

---

١ ابن الأثير، عز الدين : الكامل في التاريخ

قال صاحب الصفوة: وهو أول من عس بنفسه في عمله، وحمل الدرة، وأدب بها وكانت أهيب من سيف الحجاج، وكانت تخافه ملوك الروم وفارس وغيرهما[١].

وصفه النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في أحاديث عدة نذكر منها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ"[٢] (رواه البخاري،كتاب مناقب عمر بن الخطاب ، رقم ٣٤٠٦).

وعن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " أبو بكر وعمر سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، ما خلا النبيين والمرسلين".(حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره).

وحول علم عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) فقد ورد عن ابن عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه" .(حديث صحيح أخرجه الترمذي وغيره).

و قال عبد الله بن مسعود (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا): والله لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان وجعل علم أحياء أهل الأرض في الكفة

---

١ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي – ج١،ص٤٤٨.

٢ أنزع : استسقي أي أرفع الماء من بئر . دلو بكرة : دلو على بكرة . قليب : بئر . الذنوب : وعاء من جلد لنقل الماء . الغرب : وعاء كبير لرفع الماء ونقله . العبقري : القوي الشديد . يفري فريه : يعمل بجد ونشاط وسرعة مثله . ضربوا بالعطن :أي ضرب العطن الرطوبة الارض لكثرة ما نزع من القليب من ماء ،والعطن هو العفن القطري الذي ينبت في التربة الرطبة بشكل مستمر .

الأخرى لترجح علم عمر مذ ذهب ـ يعني ذهب بتسعة أعشار العلم[١] .

وفي هذا البحث سنجد عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) يحدد المنهاج كأوضح ما يكون التحديد ، وقبل ذلك يضع دستوراً لكل من المعلم والمتعلم ليسيرا عليه ويحققا الغايات التربوية ، والتي حددها أيضاً من خلال أقواله وأفعاله .

عمر متعلماً :

لقد كان عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) نموذجاً للمتعلم الحريص ، الذي يجمع بين العلم والعمل، ونموذجاً كذلك للمعلم الذي يعرف رسالته وأهدافه ،وقادر على توجيه المتعلمين نحو الغايات المطلوبة.

أخرج البخاري عن ابن عباس (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا)عن عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ (رواه البخاري، باب التناوب في العلم)، وهدا يشير إلي اجتهاد عمر في طلب العلم وحرصه علي ألا يفوته شيء مما أنزل علي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قاله، وكذلك يشير إلى الجمع بين طلب العلم وممارسة العمل الحياتي المهني، وهي صورة من التربية المستمرة في حياة المسلم.

[١] الفسوي : كتاب المعرفة والتاريخ ٤٦٢-٤٦٣

عمر معلماً :

اخرج ابن عساكر عن الحسن قال : أتي عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل البادية ، وان لي أشغالا فأوصني بأمر يكون إلى ثقة وأبلغ به، فقال : أعقل وأرني يدك ! فأعطاه يده فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتحج وتعتمر وتطيع ، وعليك بالعلانية، وإياك والسر، وعليك بكل شيء إذا ذكر ونشر لم تستح منه ولم يفضحك ، وإياك كل شيء إذا ذكر ونشر استحييت وفضحك ، فقال : يا أمير المؤمنين : أعمل بهن فادا لقيت ربي أقول : أخبرني بهن عمر بن الخطاب فقال : خدهن فادا لقيت ربك فقل له ما بدا لك[1].

نري من خلال هدا الأثر كيف كان عمر يعلم الناس دينهم، ويعطي كل شخص المقدار المناسب لفهمه وجهده، ويركز علي القواعد العامة للإسلام لا الجزئيات؛ مادام السائل لا يريد الإطالة، فهو في هذا الأثر ركز على العقيدة (عدم الشرك بالله)، والعبادة (الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة)، والعلاقة مع الحاكم (الطاعة)، والعلاقة مع النفس (العلانية والحياء)؛ أي الرقابة الذاتية فقد جاءت بعد رقابة القانون .

---

[1] (حياة الصحابة ج٣ ص ١٨٣ـ)

عمر القدوة :

قال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): "ولست معلمكم إلا بالعمل"[1] فهو يحدد منهجه في التعليم؛ وهو التعليم العملي بطريق القدوة، وتعتبر القدوة من أنجح الطرق وأكثرها تأثيراً في المتعلم لما يري من سلوك حي عملي يتجسد في معلمه فينطبع في ذهنه، وينعكس على سلوكه.

وورد عنه أيضاً أقوالاً عديدة تؤكد هذا الأسلوب كقوله: " والله بنيّ الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك"٢ ، وقوله: "إن الناس لن يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم"[3]، وقوله: "الرعية مؤدية إلى الأمام ما أدى الإمام إلى الله ، فإذا رتع الإمام رتعوا "[4] .. " أحب الناس من رفع إلّي عيوبي "[5] .. " إذا كنت بمنزلة تسعني وتعجز عن الناس ، فوالله ما تلك بمنزلة حتى أكون أسوة للناس "[6]

ولم تكن هذه شعارات يرفعها عمر(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) دون تطبيق صادق لها ، بل تجلت في مواقف حياته المختلفة، فكان يجوع ليشبع

---

[1] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (١٩٨٨): البداية والنهاية، ج٧،ص ٥٥. المحقق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي.
٢ الإمام مالك (١٩٩٤): موطأ الإمام مالك رواية سويدبن سعيد الحدثاني، المحقق : عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي.
٣ (ابن سعد ، والبيهقى)[كنز العمال ١٤٣١٧]
٤ الطبقات الكبرى لابن سعد: رقم الحديث: ٣٧٣٢
٥ يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (٢٠٠٠): محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المحقق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.ج٢، ص٥٩٣.
٦ محمد بن جرير الطبري (١٤٠٧هـ): تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ج٥، ص٥٦٥.

المسلمون كما حدث في عام الرمادة ، وكان يمنع عن أهله الفاكهة مخافة أن لا يجدها كل أطفال المسلمين ، وكان يسهر على راحة المسلمين ليلا وهم نائمون . ويحمل لفقيرهم الطحين والتمر على ظهره ويطعم الجوعي بيديه ، وكان عنده إحساس عالي ومرهف بالمسئولية ، حتى أنه قال " لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لظننت أن اللّه عز وجل سائلي عنها يوم القيامة"[١] .

وقال(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):" لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ، وَلَوْ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ النَّارَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ "[٢]

.. وكان من خشيته لله شدة بكائه عندما يقرأ القرآن حتى أنه كَانَ فِي وَجْهِ عُمَرَ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ[٣] .. ومرض شهرا وعاده الناس من آية من كتاب الله[٤] ..

---

١ يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (٢٠٠٠): محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المحقق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.ج٢، ص٦٢١.

٢ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (١٩٧٤م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،دار السعادة - بجوار محافظة مصر، ج١، ص٥٣.

٣ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٥١)

٤ ابن كثير (١٩٩٢): تفسير بن كثير، بيروت ، لبنان، ج٦، ص١١١.

المبحث الأول

المعلم في الفكر التربوي لعمر بن الخطاب(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)

إن الله عز وجل أرسل رسوله محمداً " صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" معلما لهذه البشرية ليخرجها من الظلمات إلى النور ويهديها بإذن ربها إلى صراط العزيز الحميد .. وهذا ما أكده النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين قال " إنما بعثت معلما " (رواه ابن ماجة برقم ٢٢٩ في حديث عبد الله بن عمرو ، وفي سنده ضعف) ، وهو القدوة والأسوة الحسنة لكل مسلم صادق ولذا فلا غرابة أن يؤكد عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).

هذا الدور لنفسه. .ولا حين قال " ولست معلمكم إلا بالعمل " [١].. وهذا منهج رفيع في التعليم تتطامن أمامه النظريات التربوية الحديثة إجلالا وإكبارا .. والتي تفتقد إلى عنصر القدوة في التربية افتقاداً عظيماً .. ذلك لان المتعلم يتعلم من سلوك معلمه أكثر مما يتعلمه من ألفاظه وعلمه، ويبقى أثر هذا السلوك ممتدا في حياته .. بينما تذوى زهرة العلم بشكل سريع ..

ويؤكد عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) هذا الدور لولاته على الأمصار والبلدان حين يقول " أَنِّي لَمْ أَبْعَثْهُمْ إِلا لِيُفَقِّهُوا النَّاسَ فِي دينهم "[٢]، فالسياسة في الإسلام ليست علماً مستقلا عن التربية، بل التربية هدفها

---

[١] البداية والنهاية: (٧/ ٥٥).

[٢] أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري : الخراج، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، ص: ١٣١.

الأول .. فالوالي هو إمام الناس في الصلاة وخطيبهم في الجمعة ومعلمهم شئون دينهم وصلاح دنياهم .. وهذا ما يفتقده كافة زعماء المعمورة في هذا الزمان .. حين يكلون هذه المهام إلى المعلمين الذين يفتقدون السلطان والهيبة على الجمهور ، كما قال عثمان بن عفان (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)" إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ"[١] فلا بد للحق من قوة تحميه وإلا استخف به السفهاء وتهاون فيه العلماء .. كما نرى في زماننا هذا .

ولم يترك عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) دون تعليم لهم وتحديد لأخلاقهم ومهامهم ، وتصريف شئونهم ، بل حدد ذلك كله من خلال النقاط التالية :

أولا : أخلاقيات المعلم الذاتية :

أ – سلوكيات راشدة :

عن الأحنف قال : " قال لي عمر بن الخطاب(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): "يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه "[٢]

١ البداية والنهاية: (٢/ ٣٠١)
[٢] عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي (١٩٧٩م): صفة الصفوة، (١/ ٢٨٧)، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ،تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.

يرشد عمر بن الخطاب (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) في هذا النص المعلمين إلى جملة من السلوكيات؛ التي تحفظ لهم شخصيتهم، وتفرض لهم هيبتهم في صدور المتعلمين، ذلك أن المتعلم لا ينضبط ولا يهتم للمادة العلمية التي تكون شخصية مدرسها ضعيفة والعكس صحيح.

وتتمثل هذه السلوكيات في :

١- الإقلال من الضحك :

لأن كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بالهيبة، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان ضحكه تبسماً، وكثرة الضحك تدل على اللامبالاة والميل إلى الخفة والدعة، وهذا لا يصلح لمعلم الأجيال الذي يجب أن يمتاز بالجدية والشعور بالمسئولية. أضف إلى ذلك أن هذا السلوك سينعكس على الطلاب والذين سيكثرون الضحك سواء في الدرس فتضيع الفائدة أو في مجالسهم الأخرى، فتنشأ شخصياتهم ضعيفة يستخف بها .. ولا يعني كلامنا هذا أن يكون المعلم متهجم الوجه عابساً لا يدخل الطرفة في حديثه مع طلابه . بل يلاطفهم بما لا يذهب هيبته أمامهم وتكون الملاطفة بما يقرب الفكرة لأذهانهم وينشطها لمتابعة الدرس.

٢- الإقلال من المزاح :

ويعني المزاح هنا القيام بسلوكيات عملية أو قولية مع الطلاب تستهدف التقرب منهم وملاعبتهم بما لا يليق بالمعلم فعله ، كطرح النكات عليهم أو اللعب معهم في شئونهم الصغيرة ، وهذا من شانه

كما قال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه يستخف به طلابه ولا يحترمونه وربما يحرجوه أمام زملائه المعلمين أو في الشارع .

٣.عدم تكرار سلوك معين شاذ :

كتكرار لفظة معينة كلما تكلم أو طريقة لبس غريبة أو مشية غير طبيعية .. فمن شأن ذلك أن يوفر مناخاً خصباً لتعليق الطلاب ، ومن ثم سيصبح اسم شهرة له بعد ذلك لا يفارقه .

٤.الإقلال من الكلام :

فكان النبي " صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يعد كلامه -رغم قلته- وهو الذي وصف المسلم بأن صمته فكراً ونطق ذكراً ونظره عبرة . وكان يقول: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ» مسند الشهاب القضائي (١/ ٣٣٨)، وقال " صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ " " مسند أحمد (٣٦/ ٣٨٣)" .. وكثير من الآثار التي تحذر من مخاطر اللسان وكثرة الكلام ، لأنه من المؤكد أن كثرة الكلام سينتج عنها كثرة السقط -وهو الكلام الخاطئ أو المسف أو اللغو- وكثرة السقط يجعل المعلم يستخف بذلك بحيث يتعود عليه، مما يدفعه إلي خدش الحياء؛ أو تجاوز الأعراف المعهودة، مما يشجع هدا المعلم علي المعصية القولية كالكذب والنميمة والغيبة وغير دلك مما يقلل من ورعه وتقواه، ومن شأن دلك إذا استمر أن يموت قلبه كما قال الله عز وجل: " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (المطففين:١٤).

ب – الصدق :

قال عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): **"** ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ، ولا من فاسق بين فسقه ، ولكني أخاف عليها رجلا قرأ القران أزلقه بلسانه ثم تأوله علي غير تأويله ".[1]

يحذر أمير المؤمنين في هدا الأثر؛ من نمطية خطرة من الشخصيات، ألا وهي النمطية التي تمتلك العلم ولا تحافظ علي أمانته، مثل ضرورة الصدق في نشره وعدم الافتئات عليه باختلاق التفسيرات الذاتية غير القائمة علي أساس علمي، أو الادعاء بالقدرة علي الإفتاء في كل مسألة. وهدا ما حذر منه النبي " صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" حين قال " من كذَب عليّ متعمداً فليتبوا مقعدَه من النار" مسند أحمد ت شاكر (٣/ ١٩٧)

وقوله تعالي " **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** (البقرة:٧٩) "

والمعلم في هدا المجال ملزم بالصدق لأنه مؤتمن علي الجيل الناشئ، فادا لقنه معلومات خاطئة أو تفسيرات علمية ذاتية غير علمية؛ فان هدا الجيل سينشأ عليها ويبني عليها مما يهدد مستقبل المجتمع والأمة، إضافة إلي أن هذا الجيل سيتعلم من هذا المعلم عدم الصدق في نقل المعلومة وسيدرج علي ذلك .

[1] يوسف بن عبد البر النمري (١٣٩٨ه): جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت.

واعتبر الدكتور عمر الشيباني أن: " صفة الصدق من أولي الصفات التي يجب أن يتحلي بها المعلم المسلم في معاملته مع تلاميذه وأولياء أمورهم ومع زملائه ومع الناس عامة " ووضح صور الصدق بأن " يتحري الحقيقة في أقواله ، ويفي بوعوده ، ويلتزم بمواعيده، ويقول كلمة الحق عند من يخافه وعند من يرجوه علي السواء "[1] .

ج التواضع :

عن ابن شهاب أن عمر ين الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال وهو علي المنبر : " أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مصيبا لان الله كان يريه ، وإنما هو منا الظن والتكلف " .

* وعن صدقة بن أبي عبد الله أن عمر بن الخطاب كان يقول :" أن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا : لا نعلم ، معارضو السنن برأيهم فإياكم وإياهم " .

في هذين الأثرين يحمل عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) علي أهل الرأي، ويقصد بهم الذين يقولون بغير علم أو أن رأيهم لا يستند إلي دليل شرعي وهم يتحدثون عن أمور الشرع، وهذا لا يعني بالتأكيد الحجر علي الرأي أو علي الجمود في التقليد، بل يضبط مداولة الآراء بالصدق العلمي وهذه الصفة من الصفات الهامة

[1] الشيباني :١٢٩

اليوم في عمل التربية لنجاح أي بحث أو استبانة إن تتصف بالصدق والثبات، ونركز علي أن الصدق يتبعه التواضع العلمي بعدم ادعاء مطلق العلم بل شعار العلم دائما " **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**" (يوسف:٧٦) ، **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**" (طه:١١٤) .

وبيّن أمير المؤمنين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هنا أن مدّعي العلم أصحاب الرأي هنا لم يلجئوا إلى ذلك إلا لتغطية عقدة نقص عندهم . .وهي ضحالة العلم وضعف الحفظ ولم يرغبوا أن يظهروا جهالا أمام غيرهم فقالوا برأيهم ..

ومن شان تواضع المعلم أن يشجع التلاميذ علي سؤاله عما استصعب عليهم من العلم وان يحبب إليهم المادة التي يدرسونها لديه لان النفوس لا تستريح لمتكبر أو مغتر بعلمه

د التزام العمل بالعلم (القدوة الحسنة)

أخرج البيهقي وابن النجار عن أبي عثمان الهندي قال : سمعت عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يقول علي المنبر : " إياكم المنافق العالم قالوا : وكيف يكون المنافق عليما ؟ قال : يتكلم بالحق ويعمل بالمنكر" (رواه البيهقي، ٤/٤٠٤) .

يحذرنا عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من صنف خطير علي الأمة ألا وهو صاحب علم لا يعمل بعلمه فهو كما شبهه الله عز وجل: " **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**" (الجمعة:٥) ، ولقد حذرنا الله في كتابه من ذلك حين قال

: **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** (الصف :٣).

وبيّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ن من أوائل من تسعّر بهم النار عالم لم يعمل بعلمه (رواه مسلم)، وهذا أمير المؤمنين كان قدوة صالحة للرعية ، وما كان يقول لغيره افعل وهو يترك الفعل .. يقول " والله بنيّ الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك " (موطأ الإمام مالك)، وقال " أحب الناس من رفع إلي عيوبي " وسبق أن أوردنا قوله " ولست معلمكم إلا بالعمل " .

وللقدوة في التربية أثر عظيم علي المتعلمين ذلك أنهم يتعلمون من سلوك المعلم أكثر مما يتعلمونه من علمه ويبقي أثر السلوك مدي أطول من أثر العلم، والتعليم ليس منفصلا عن التربية بل هما لبعضهما كالروح إلى الجسد فإن افترقا مات الجسد .

لا تحسبن العلم ينفع وحده　　　　ما لم يتوج ربه بخلاق

ثانيا : أخلاقيات المهنة :

بعد أن استعرضنا بعض الأخلاق الذاتية والتي يجب أن تتوفر في المعلم كما يراها عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) ،نعرض هنا لعلاقة المعلم بمهنة التعليم وكيف أن عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) حدد هذه العلاقة بشكل واضح من خلال الأسس التالية :

١ عدم اخذ أجرة على التعليم :

قال عمر (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) : "يا أهل العلم والقرآن، لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمناً، فتسبقكم الزّناة إلى الجنة"[١]، ويقول: " يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين"[٢] ، ويقول: "كونوا أوعية للكتاب، وينابيع للعلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، وعدوا أنفسكم في الموتى، ولا يضركم أن لا يكثر مالكم "[٣].

في هذه الآثار يؤكد عمر بن الخطاب (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) انه علي المعلم ألا يربط علمه بأخذ الأجرة، وإلا سيصبح العلم تجارة للكسب، وليس رسالة سامية يؤديها المعلم ليخرج الناس من الظلمات إلي النور.

وبين عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُأن أخذ الأجرة مع العلم تسوق إلي الدناءة في الأخلاق، والاتكال علي الناس، ولكن علي المعلم أن يقتدي بالرسل جميعا " **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ"** (الشعراء:١٠٩) .

ويؤكد هذا المبدأ الكثير من التربويين الإسلاميين القدامى أمثال الإمام الماوردي حين يقول: " وَمِنْ آدَابِهِمْ: نَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنْ شُبَهِ الْمَكَاسِبِ، وَالْقَنَاعَةُ بِالْمَيْسُورِ عَنْ كَدِّ الْمَطَالِبِ. فَإِنَّ شُبْهَةَ الْمَكْسَبِ

---

[١] " محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٦٨٦)

[٢] المرجع السابق: (٢/ ٧٠٥)

[٣] المرجع السابق: (٢/ ٦٧٩)

إِثْمٌ وَكَدَّ الطَّلَبِ ذُلٌّ، وَالْأَجْرُ أَجْدَرُ بِهِ مِنْ الْإِثْمِ وَالْعِزُّ أَلْيَقُ بِهِ مِنْ الذُّلِّ.. وَمِنْ آدَابِهِمْ: أَنْ يَقْصِدُوا وَجْهَ اللَّهِ بِتَعْلِيمِ مَنْ عَلَّمُوا وَيَطْلُبُوا ثَوَابَهُ بِإِرْشَادِ مَنْ أَرْشَدُوا، ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَاضُوا عَلَيْهِ عِوَضًا، وَلَا يَلْتَمِسُوا عَلَيْهِ رِزْقًا". [1]

ويقول الإمام الغزالي في صفات المعلم " أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه" [2] .

وما سبق من الحديث عن أجرة المعلم لا يعني ذلك المعلم الذي يتفرغ للتعليم ويتخصص من أجله، فهذا صاحب مهنة كما انه صاحب رسالة، وإلا كيف سيعيش ؟ ولكن المقصود والله أعلم أولئك اللذين يعلّمون الناس بدون تفرغ لذلك من طواعية أنفسهم وخاصة في مجال علوم الدين، مع العلم أن لديهم أعمالا تجارية يعيشون من خلالها .. وما نلاحظه اليوم ليس هو الاكتفاء من المعلم بأخذ الأجرة على وظيفة التعليم بل تجد البعض منهم يتكالب على مد أذرعه في أكثر من مؤسسة تعليمية وكذلك التعليم البيتي (الدروس الخصوصية) مما ينهك قواه ويضعف أدائه فيها جميعا ناهيك عن المؤسسة الرئيسية التي يعمل بها .

ومن الأدلة التي اعتمد عليها القائلون بجواز أخذ الأجرة على التعليم مثل المالكية وغيرهم قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " أحق ما

---

١ الماوردي: أدب الدنيا والدين (ص: ٨٣-٨٤)
٢ الغزالي: إحياء علوم الدين (١/ ٥٦)

أخذتم عليه أجراً كتاب الله " رواه البخاري، وما روى أن سعد بن أبي وقاص كان يعطي الإجارة لمعلم بنيه، وقد أجاز الإمام مالك التعليم مشاهرة ومقاطعة وكل شهر وكل سنة بكذا وورد: جَازَتْ الْإِجَارَةُ (عَلَى تَعْلِيمِ قُرْآنٍ مُشَاهَرَةً) بِضَمِّ الْمِيمِ، أَيْ كُلَّ شَهْرٍ بِأُجْرَةٍ مَعْلُومَةٍ أَوْ كُلَّ سَنَةٍ أَوْ كُلَّ جُمُعَةٍ أَوْ كُلَّ يَوْمٍ "[١]

٢ ابتعاث المعلمين :

- كتب عمر بن الخطاب(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إلى أمراء الأجناد أن ارفعوا إلى كل من حمل القرآن ، حتى ألحقهم فى الشرف من العطاء وأرسلهم فى الآفاق ، يعلمون الناس "[٢]

- ويقول أبو موسى الأشعري " عن أبى موسى قال: إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثنى إليكم أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم وأنظف طرقكم "[٣]

- ومن هذه البعثات أرسل معاذا وأبا عبادة وأبا الدرداء إلى الشام وأرسل عمارا وابن مسعود إلى الكوفة وَوَلِيَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ لعمران بن حصين، وَكَانَ عُمَرُ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِيُفَقِّهَهُمْ[٤]. وكان يرسل الثقات من أهل العلم الصادقين ، ونهى أن يؤخذ العلم من غير أهله ..

---

١ منح الجليل شرح مختصر خليل (٧/ ٤٧٦)
٢ جامع الأحاديث (٢٨/ ١٩٥)
٣ جامع الأحاديث (٢٥/ ٤٤٥، بترقيم الشاملة آليا)
٤ سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤)

تشير هذه الآثار إلى إستراتيجية تعليمية اعتمدها عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).. ألا وهي نشر العلم في ربوع الدولة الإسلامية، وذلك عن طريق إرسال البعثات التعليمية، وهو مصطلح دارج في هذا العصر حيث ترسل الدول بعثات تعليمية من خيرة معلميها إلى دول أخرى، إما لتنتشر العلم بصورة عامة أو نشر فكرة خاصة .. وتستطيع هذه الدول عن طريق هذه البعثات أن تغزو البلاد الأخرى فكريا وثقافيا ومن ثم اقتصاديا وعسكريا ، ولم يكن هدف عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من هذه البعثات مطامع الدنيا بل نشر الدين والعلم.

٣ التخصص في العلم :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهما- قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسِ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَلْيَأْتِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ، فَلْيَأْتِ زَيدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ، فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ، فَلْيَأْتِنِي، فَإِنَّ الله جَعَلَنِي لَهُ وَالِياً وَقَاسِمًا[1].رواه الطبراني في الأوسط

ويتضح من خلال الخطبة السابقة لعمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه كان يؤمن بالتخصص في العلم ويدعو إليه، كي يبرع المتخصص في كل جزئيات هذا العلم -أي أن يصبح مرجعاً للناس فيه - يستفتونه في كل دقائقه فيجيبهم .. ومبدأ التخصص هو روح

[1] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ت حسين أسد (٢/ ٣٠٧)

العصر الحديث لكافة العلوم وخاصة العلوم التربوية ، ونجد اليوم تخصصاً في دقائق جزيئات العلم الواحد مما دفع بعجلة التقدم البشري إلى الأمام سنين عديدة .

والمعلمون اليوم يلجئون إلى التخصص كما هو واضح فكلما تقدمت المرحلة التعليمية لزم التخصص أكثر . فمدرس الابتدائي والمرحلة الدنيا يعلّم جميع المواد، ومدرس الإعدادي يدرس فروع مادة العلوم أو الاجتماعيات كلها، أما مدرس الثانوي فيتخصص في الفيزياء أو الجغرافيا ومدرس الجامعة يتخصص في الضوء وهو أحد فروع الفيزياء مثلا.

٤ إسناد المسئولية لأهل العلم :

أخرج ابن سعد (ج ٢ صـ ١٧٤) عن القاسم قال: كَانَ عُمَرُ يَسْتَخْلِفُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فِي كُلِّ سَفَرٍ. أَوْ قَالَ سَفَرٍ يُسَافِرُهُ. وَكَانَ يُفَرِّقُ النَّاسَ فِي الْبُلْدَانِ وَيُوَجِّهُهُ فِي الأُمُورِ الْمُهِمَّةِ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ الرِّجَالَ الْمُسَمَّوْنَ فَيُقَالُ لَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. فَيَقُولُ: لَمْ يَسْقُطْ عَلَيَّ مَكَانُ زَيْدٍ. وَلَكِنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ يَحْتَاجُونَ إِلَى زَيْدٍ فِيمَا يَجِدُونَ عِنْدَهُ فِيمَا يَحْدُثُ لَهُمْ مَا لا يَجِدُونَ عِنْدَ غَيْرِهِ.[١]

فعمر (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) كان يستخلف أهل العلم على الناس حين يسافر أو حين يعيّن الولاة كما سبق ذلك، وفي هذا ضمان لأمرين حكم الناس وضبطهم ثم تعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وإسناد الأمر

[١] الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٤)

للعلماء حفظ للأمانة كما قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال يا رسول الله كيف أو قال: ما إضاعتها؟ قال: "إذا توسد الأمر غير أهله فانتظر الساعة" مسند أحمد ت شاكر (٨/ ٤٠١).

ومما يؤسف له أنه في معظم العالم العربي يهمش العلماء ويوسد الأمر إلى الجهّال وأنصاف المتعلمين، مما ينتج عنه فساد عظيم وجهل مستطير وسوء أحوال الناس وطمع للأعداء فينا.

٥ محادثة أهل العلم :

- أتي أبو موسى الأشعري عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) بعد العشاء فقال عمر : ما جاء بك ؟ قال : جئت أتحدث إليك ، قال : هذه الساعة ؟ قال : إنه فقه . فجلس عمر فتحدثا طويلا ثم إن أبا موسى قال : الصلاة يا أمير المؤمنين ، قال : إنا في صلاة .(أخرجه عبد الرازق وابن أبي شيبة).

- أخرج ابن عساكر عن أبي حصين قال : "إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر"[١] .

إن العلم لا يكبر إلا بالمحادثة والمشاورة وتلاقح الآراء ، وإذا انكمش العالم على نفسه فإن علمه سيضعف وتكثر أخطاؤه، ولذلك كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتمنون أن يظهر الحق على لسان من يناقشوه ويقولون: " رأي غيري خطأ يحتمل

[١] إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٨٥)

الصواب ورأيي صواب يحتمل الخطأ " فبهذه الروح ينمو العلم وتبسق شجرته وتينع ثماره .

وفي العصر الحديث نشاهد المؤتمرات الثقافية والندوات الفكرية والملتقيات التربوية والتي تستهدف جميعها تطوير العلم وتحسينه واستثماره لصالح البشرية .

وعلى المعلم أن لا ينكمش على ما حصّله في شهادته الجامعية . بل عليه أن يجالس من هم أعلى منه ويناقشهم ويشترك في إعداد البحوث التطويرية والنقاشات العلمية الهادفة لتحقيق قول النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ) : " «إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا، فَلَا بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ» المعجم الأوسط (٦/ ٣٦٧)

المبحث الثاني

المتعلم في فكر عمر بن الخطاب التربوي

لم يغفل عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) المتعلم من فكره التربوي الرائد، بل أعطاه الاهتمام الأكبر بصفته الهدف الأسمى للعملية التربوية، وان كل الجهود ستصب في النهاية لتربيته وإعداده لتحمل الأمانة العظيمة ، ولذا حدد له آداباً في طلب العلم وآداباً عامة في الحياة . نذكر منها ما يلي :

أولا : آداب طلب العلم :

<u>١- السكينة والحلم والتواضع :</u>

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَّارِي الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ مَعَ جَهْلِكُمْ " المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٣٣٣)

يحدد هنا أمير المؤمنين جملة آداب للمتعلمين تتلخص في ضرورة تحلّيهم بالسكينة والحلم والتواضع، ذلك لأن المتعلم يحتاج إلى السكينة -وتعني الهدوء وعدم الضوضاء وارتفاع الصوت- ليتسنى له تحصيل العلم ، ومن البديهي أن الصف الذي تكثر فيه مشاغبات المتعلمين يكون مستواه ألتحصيلي متدنياً قياساً إلى صف مؤدب هادئ .

ويحتاج المتعلم إلى الحلم (وهو ضد الطيش وقد يقابل به الجهل والسفه كقوله : وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده) .. " والصبر والأناة

والسكون مع القدرة والقوة " ويقصد به العقل كما قال تعالى: **أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا** (الطور:٣٢) - أي عقولهم .

فيحتاج المتعلم إلى هدوء الأعصاب وعدم الاستفزاز لأي جهل مقابل ويتطلب ذلك منه رجاحة العقل وسعة الصدر، فربما يتعرض المتعلم لانتقاد لا ذع من معلمه فلا يصبر على ذلك فينقطع عن طلب العلم. أما بالنسبة إلى التواضع فهو شرط أساسي لطلب العلم فغير المتواضعين سيكونون مغرورين بما لديهم من علم ومن ثم لن يتنازلوا ليأخذوه من غيرهم ، وقدوتنا في ذلك موسى عليه السلام حين قال أنه أعلم أهل الأرض فأدبه الله بالتواضع للرجل الصالح والسير معه طلبا لما لديه من علم " **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**" (الكهف:٦٦)

ويفسر أمير المؤمنين(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) سر التواضع بأنه في غيابه سيكون العالم متجبرا مغترا لا يصغي لحق من غيره فيطغى عليه الجهل وتودي به المهالك.

٢- شرف غاية طلب العلم :

عَنْ عُمَرَ قَالَ: " لَا تَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ لِثَلَاثٍ ، وَلَا تَتْرُكْهُ لِثَلَاثٍ: لَا تَتَعَلَّمْ لِتُمَارِيَ بِهِ ، وَلَا تَرَائِي بِهِ ، وَلَا تُبَاهِي بِهِ ، وَلَا تَتْرُكْهُ حَيَاءً مِنْ طَلَبِهِ ، وَلَا زَهَادَةً فِيهِ ، وَلَا رِضَاءً بِجَهَالَةٍ " المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٢٨٤).

ويوضح عمر(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)الغاية من طلب العلم ويطرح الغايات الدنيئة من وراء طلبه كالجدال (المراء)والمباهاة والرياء ، ويبين ثلاث آفات ومعوقات لطلبه وهي الحياء من طلبه والزهد في طلبه وتفضيل الجهل على العلم .

إن طلب العلم كما نعلم فريضة على كل مسلم ومن ثم فغايتها الاستعانة بهذا العلم على طاعة الله وصلاح أمور الدنيا والدين، ولهذا يحتاج طلب العلم إلى تقوى الله كي يحصله المرء كما قال تعالى: " **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (البقرة:٢٨٢) "، وقوله " **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**" (فاطر:٢٨) .

فالتقوى والخشية من الله هما من خصائص المتعلم الناجح، أما إذا طلبه لغاية مادية محدودة قصيرة الأجل مثل أن يشار إليه بالبنان ويتباهى على أقرانه ويفتخر به، فإن هذا من آفة العلم وسبب ضياعه، والأصل أن يغرس في قلب وعقل المتعلم أن يقصد به وجه الله أولا ثم خدمة الصالح العام.

٣- السؤال مفتاح العلم :

أخرج عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: قَالَ عمر بن الْخطاب: قَرَأت اللَّيْلَة آيَة أسهرتني {أيود أحدكُم أَن تكون لَهُ جنَّة من نخيل وأعناب} فقرأها كلهَا فَقَالَ: مَا عَنى بهَا فَقَالَ بعض الْقَوْم: الله أعلم فَقَالَ: إِنِّي أعلم أَن الله أعلم وَلَكِن إِنَّمَا سَأَلت إِن كَانَ عِنْد أحد مِنْكُم علم وَسمع فِيهَا شَيْئا أَن يخبر بِمَا سمع فَسَكَتُوا، فرآني وَأَنا أهمس قَالَ: قل يَا ابْن أخي وَلَا تحقر نَفسك، قلت: عَنى بهَا الْعَمَل، قَالَ: وَمَا عَنى بهَا الْعَمَل قلت: شَيْء أُلقي فِي روعي فقلته فتركني وَأَقْبل وَهُوَ يُفَسِّرهَا صدقت يَا ابْن أخي عَنَى بهَا الْعَمَل ابْن آدم أفقر مَا يكون إِلَى جنته إِذا كَبرت سنه وَكثر

عِيَاله وَابْن آدم أفقر مَا يكون إِلَى عمله يَوْم الْقِيَامَة صدقت يَا ابْن أخي "[1]

عمر بن الخطاب(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) لا يستكبر على نفسه أن يسأل غيره عما جهله من العلم ولو كان الذي سأله صبيا صغيرا كابن عباس، الذي كان يحرص أن يجلسه مجالسه مع أشياخ قريش وكبار الصحابة ويتحداهم به حتى سألهم عن تفسير سورة العصر فلم يعرفوا فسأل ابن عباس ففسرها له بأنها نذير بموت النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

إذا على المتعلمين أن يسألوا من هم أعلم منهم ولا يمنعهم الحياء أو الزهد في طلب العلم عن ذلك ونبهنا الله في كتابه إلى ضرورة السؤال كمفتاح للعلم فقال " **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" (النحل:٤٣).

والسؤال ليس أمراً مطلقاً في كل ما عنّ لعقل المرء، بل في الأمور النافعة وخاصة التي ينبني عليها عمل، أما الأمور الفلسفية الجدلية فقد نهى عمر عن ذلك حين قال " إنه لا يحل لأحد أن يسأل عما لم يكن، إن الله تبارك وتعالى قد قضى فيما هو كائن" [2]

وطريقة السؤال والمناقشة من أفضل الأساليب في التربية الحديثة لتحصيل العلم وتعزيز القيم التربوية .

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/ ٤٧)

[2] جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٧٩)

٤- عدم تأجيل العمل لغد :

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ فِي الْعَمَلِ أَنْ لَا تُؤَخِّرُوا عَمَلَ الْيَوْمِ لِغَدٍ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَدَارَكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَعْمَالُ، فَلَمْ تَدْرُوا أَيُّهَا تَأْخُذُونَ فَأَضَعْتُمْ ، فَإِذَا خُيِّرْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيَا وَالْآخَرُ لِلْآخِرَةِ، فَاخْتَارُوا أَمْرَ الْآخِرَةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى، وَإِنَّ الْآخِرَةَ تَبْقَى ، كُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى وَجَلٍ، وَتَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ» مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٧)

في هذا الأثر الجليل البليغ ينبه أمير المؤمنين الناس عامة والمتعلمين خاصة إلى خصلة مهمة في طلب العلم وهي عدم تأجيل واجب اليوم لغد لان من دواعي ذلك أن تتراكم الواجبات بمرور الأيام حتى تثقل على المرء فلا يستطيع تنفيذها فيركن إلى اليأس ويفشل فيضيع مستقبله وكما قال الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله (الواجبات أكثر من الأوقات فأعن غيرك على الانتفاع بوقته)، فتجد العظماء مثلا يشكون من ضيق الوقت رغم أنهم لا ينامون إلا قليلاً لكثرة ما لديهم من واجبات وطموحات، ونعمة الوقت والفراغ نعمة عظيمة إذا أحسن الإنسان استغلالها كما قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس، الفراغ والصحة" مسند أحمد ت شاكر (٣/ ٣٧٧)، أما إذا أساء استغلال الوقت فإنه سينقلب نقمة وفسادا عليه كما قال الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

ونجد في عالم المتعلمين من يدرسون المنهاج قبل حلول العام الدراسي استباقا له فيكونون من المتفوقين، ومنهم من يتابع المعلم

في شرحه، ومنهم من لا يدرس إلا إذا جاء الامتحان فيلاقي الصعاب وضيق الوقت وربما يلحقه الفشل.

ثانيا : آداب سلوكية :

- عن وديعة الأنصاري قال سمعت عمر بن الخطاب(رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) يقول وهو يعظ رجلا لا تكلم فيما لا يعنيك واعرف عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز و جل"[1]

يحذر عمر (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) الناس عامة والمتعلمين خاصة من عدة مزالق خطيرة تعرضهم للهلاك وتتمثل في: التحدث فيما لا يفيد المرء ولا يعنيه وكما قيل " من تحدث فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه "، وقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : " رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ " الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٩/ ٢٧١).

والمتعلم حين يفعل ذلك يعرّض نفسه إما للعقاب البدني أو سوء الذكر عند المعلمين ، أما المزلق الثاني فهو الصحبة السيئة وكم جرّت على المتعلمين الويلات فأدت على تسربهم من المدارس أو رسوبهم في الجامعات وخاصة في بلاد الغرب وضياع المال والعمر، وربما السقوط في هاوية المحرمات . وأصل الصحبة الصالحة أن تكون قائمة على خشية الله " **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**" (الزخرف:٦٧) .

---

[1] صفة الصفوة (١/ ٢٨٧)

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» مسند أبي داود الطيالسي (٤/ ٢٩٩).

وربما يكون هذا الصديق رجل فاجر ظاهر فجوره، فهذا أولى بالحذر منه من الآخرين الذين لا يظهرون فجورهم، فالفاجر لا يصدر عنه إلا الفجور " وكل إناء بما فيه ينضح " وكما قالوا " الصاحب ساحب "، فهذا الصنف على المتعلم تجنبه وعدم مشاورته أو المشي معه أو كشف الأسرار الشخصية له لأن ذلك كله سينقلب على رأسه ويدمر مستقبله.

قال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) "إنه ليعجبني الشاب الناسك، نظيف الثوب طيب الريح"[١].

وهذا القول يركز على المظهر القلبي والجسدي للمتعلم فقلبه يجب أن يكون ناسكاً أي متعبداً زاهداً في هذه الدنيا الفانية، أما مظهره فنظيف مثل نظافة قلبه وطيب مثل طيبة قلبه، فالاهتمام بالمظهر للمتعلم من نظافة الثياب والبدن والرائحة الطيبة تشرح صدر المعلم والمتعلمين الآخرين له، مما يساعده على حسن التعامل معهم وأن يتقبلوه ويساعدوه في عملية التعلم . وتقوم اليوم في مدارسنا اللجان الصحية والمدرسية التي تراعي نظافة البيئة المدرسية ونظافة الطالب ثوباً وجسماً حتى لا تغزوهم الأمراض، ويحافظوا على مظهر حضاري عظيم ألا وهو النظافة.

---

[١] " محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٧١٤)

المبحث الثالث

المنهـــــاج

إن المتتبع لما أثر عن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من أقوال في هذا الموضوع، يجد وضوحاً بيّناً في تحديد مواضيع المنهاج، وكذلك تحديد طرق التدريس وسنعرض هنا لهاتين النقطتين بشيء من التفصيل:

القسم الأول : المواد الدراسية في المنهاج العمري :

سنصنف هذه المواد إلى ثلاث علوم وهي :

- العلوم الشرعية وتشمل (القرآن – الفقه – الفرائض – اللغة العربية)
- العلوم الإنسانية وتشمل (الأنساب – التاريخ والأخبار – الجغرافيا)
- العلوم التطبيقية وتشمل (الفلك – الصناعة – الحساب – الفن – الرياضة – الكتابة والقراءة والخط)

أولاً: العلوم الشرعية :

يعتبر عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن العلوم الشرعية هي أسمى العلوم وأحقها بالتعلم، ذلك لأنها تقرب إلى الله وتعين على طاعته، ويتضح ذلك من خلال أقواله ورسمه لمنهاج العلوم الشرعية كما يلي:

١- القرآن الكريم والسنة المشرفة :

- يقول (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " تعلَّموا القرآنَ تُعْرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله"_مسند الفاروق ت إمام (٢/ ٤٥٨).
- وعن المسور بن مخرمة انه سمع عمر بن الخطاب يقول: " تعلَّموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور، فإن فيهن الفرائض". مسند الفاروق ت إمام (١/ ٥٨)
- ويقول(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «أَمَّا بَعْدُ فَتَفَقَّهُوا فِي السُّنَّةِ، وَتَفَقَّهُوا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَعْرِبُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَتَمَعْدَدُوا فَإِنَّكُمْ مَعَدِّيُّونَ». مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١١٦)

هذه الآثار كلها تقودنا إلى الاستنتاجات التالية :

* الحث على تعليم القرآن والسنة و اللغة العربية.
* تخصيص مواضيع ذات أهمية خاصة في القرآن ليتعلمها وهي السور المذكورة لاحتوائها على الأحكام الشرعية العملية.
* الحث على إعراب القرآن ومعرفة قواعد الإعراب وأمور البلاغة وما يتعلق بعلوم العربية.
* تحصيل هذه العلوم وعلى رأسها القرآن يجعل المرء علماً بين أقرانه ومقدماً عليهم إضافة إلى مرضاة الله.

٢- الفقه والفرائض :

- يقول (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):"عليكم بالتفقه في الدين وحسن العبادة والتفهم في العربية"[١]

---

[١] محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٧٢٠)

- وكتب عمر بن الخطاب(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إلى أمراء الأجناد: تفقهوا في الدين فإنه لا يعذر أحد بإتباع باطل وهو يرى أنه حق ولا يترك حق وهو يرى أنه باطل. . كنز العمال (١٠/ ٢٥٢)
- ويقول(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): تعلموا اللحن والفرائض فإنه من دينكم. كنز العمال (١٠/ ٢٥٤)

علم الفقه هو العلم الذي يبحث في الأحكام الشرعية من عبادات كالصوم والصلاة ومعاملات كالبيع والشراء والزواج، أما علم الفرائض فهو علم المواريث وتقسيم الإرث على ذوي المتوفى، وعلم اللحن هو علم التجويد في القرآن وإتقان أحكام التلاوة.

وهذه العلوم كلها تحتوي على أمور متعلقة بالفروض من عبادات ومعاملات وما لا يجوز للمرء تركه أو الجهل به.

٣- اللغة العربية

- يقول (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تُثَبِّتُ الْعَقْلَ، وَتَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ ". شعب الإيمان (٣/ ٢١٠)
- وقد أوصى بوضع قواعد للنحو لأنه قوام العربية"[١].
- وسبقت أقوال تحث على تعليم العربية في المواد السابقة

وقد اعتبرت اللغة العربية من ضمن العلوم الشرعية، لأنها تعتبر مفتاحاً لفهم العلوم الشرعية الأخرى وخاصة القرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية،ونرى هنا أن عمر بن الخطاب(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كرّر في عدة أقوال له الحث على تعلم العربية لكي يحفظ الفهم الصحيح للإسلام، وإذا فهم الإسلام بطريقة صحيحة طبق بطريقة صحيحة، وساد الإسلام وحكم البلاد .. ونبّه كذلك إلى

[١] العقاد، عباس: عبقرية عمر بن الخطاب ، ص١٩٣

تعليم الشعر وهو مادة اللغة العربية وسجلها بعد القرآن والسنة كما سيرد في علم الأنساب.

ثانياً: العلوم الإنسانية

وهي العلوم المرتبطة بالواقع الإنساني وتحركاته ومراحل التغيير في حياة الأمم والشعوب والحضارات ومن هذه العلوم التي اهتم بها عمر :

١- علم الأنساب

- قال عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)لابنه عبد الرحمن: " يا بني! انسب نفسك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترف أدباً"[١].
- وقال(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد،إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا "[٢]

يتضح من هذه الأثر تركيز عمر بن الخطاب(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) على علم الأنساب، ويعتبره سبباً لصلة الرحم التي أوصى بها الله في كتابه حين قال: " **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**" (محمد:٢٢)، وحث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها حين قال: " الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ " مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢١٧).

---

١ جمهرة أشعار العرب (ص: ٤١)
٢ مقدمة ابن خلدون (ص: ٦٣، بترقيم الشاملة آليا)

والذي يعرف نسبه وسلسلة عائلته يستطيع أن يحفظ شملها ويلم شعتها ويقوي آصرتها وينصر ضعيفها ويعين فقيرها، أما الذي يجهل ذلك ولا يعرف له نسباً سوى اسم القرية التي يسكنها يمكن أن يتغول عليه الأفاكون ويرمونه بسوء المنبت أو ضعف العشيرة أو أنه دخيل على أهل بلده وكذلك سيفقد عزوته في عشيرته إن كانت متناثرة الأرجاء فيظل جناحه ضعيفاً مهيضاً.

٢- علم التاريخ والأخبار

- قال عمر بن الخطاب(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) " عليكم بطرائف الأخبار فإنها من علم الملوك والسادة وبها تنال المنزلة والحظوة عندهم "[١] .
- ويعتبر عمر(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) هو أول من سنّ اتخاذ التاريخ الهجري ليقّوم به المسلمون سنتهم، ويحفظوا ذكرياتهم، وعلم التاريخ يعتبر من أهم العلوم الإنسانية لارتباطه بصعود وهبوط الأمم وأسباب ذلك، ومن خلاله يستطيع القائد الناجح أن يتعرف على سنن النصر والهزيمة ويحقق لأمته السؤدد والظفر، وقد تنبه ابن خلدون لذلك فكتب مقدمته الفذة محللاً حوادث التاريخ ومشتقاً منها أسباب الصعود والهبوط، وتجد اليوم أن كثيراً من أساتذة التاريخ المشهورين في العالم هم من اليهود وأنصارهم والذين بمركزهم هذا يوجهون سياسات الدول والحكومات.

[١] عبقرية عمر ١٩٥

٣- علم الجغرافيا

يقول الكاتب الكبير "عباس محمود العقاد" في كتابه الفذ " عبقرية عمر " متحدثا عن دراية عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) بجغرافية الدولة الإسلامية التي يحكمها وما حولها من البلدان: كان يعرف جغرافية الشرق كأحسن ما يعرفها رجل في وطنه، ولكنه كان يعرفها حقا عن سماع وعن رؤية وعن ذكاء يعين السمع والرؤية، بل كان يفرض على الولاة أن يحيطوا بعلم ما يتولونه من البلاد ويعزل من يرى فيه تقصيرا عن ذلك، فاستقدم عمار بن ياسر أمير الكوفة لما شكوه إليه وقالوا في شكواهم إياه: إنه لا يدري علام استعمل، وجعل يسأله عن المواقع والبلدان من بلاد العرب والفرس حول الكوفة سؤال مطلع خبير ثم عزله لتقصيره بعد اختباره.[1]

إن معرفة علم الجغرافيا تعين على معرفة طبيعة البلدان سهلية أم جبلية؛ ساحلية أم صحراوية، وأجواء المناخ فيها حارة أم باردة؛ ووجود الغابات والتضاريس الصعبة فيها أم لا ، وحدود الدول المجاورة وطبيعة العلاقات معها هل هي علاقة سلمية أم علاقة حرب؟ كل هذه المعلومات وغيرها تهم القادة الذين يتولون زمام الأمور في الحكم أو قيادة الجيوش لإعداد الخطة المناسبة سواء لحكمها أو قتالها أو توقيع المعاهدات معها.

ونتيجة للتقدم العلمي اليوم فتستطيع الأقمار الصناعية تصوير الأرض من الفضاء ومعرفة حتى خبايا الأرض وتحركات الجيوش عليها والمواقع الهامة فيها إلى غير ذلك مما يسهل عمليات الغزو بعد ذلك، والمتعلم مطالب بهذا العلم أولا للتعرف

---

[1] عبقرية عمر ١٩٨

على بلده ثم بلاد العالم العربي والإسلامي وبلاد العالم الغربي ليساهم في بناء الأسرة العربية والإسلامية وفهم مقاصد العالم الغربي وسياساته وأطماعه.

ثالثاً: العلوم التطبيقية

وهي العلوم التي يتوقف عليها التقدم البشري من الناحية التقنية والتكنولوجية في الجانب المادي من الحضارة الإنسانية؛ مثل علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والطب والكمبيوتر والفلك والصناعة، وهناك علوم عملية تطبيقية مثل الفن بأنواعه والرياضة بأنواعها ومبادئ القراءة والكتابة والخط، ولم يغفل عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هذا الجانب المهم من هذه العلوم بل دعا إليها وشجع المسلمين على ارتياد مائها والنهل منه وتحقيق قصب السبق فيه كما يلي:

١- علم الفلك

- قال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) " تعلموا من النجوم ما يدلكم على سبيلكم في البر والبحر ولا تزيدوا عليه "[١].

يحث عمر المسلمين هنا إلى دراسة علم النجوم، ويحدد هدف ذلك بمعرفة الطرق والدروب سيما في السفر والسير في الأرض كما قال تعالى **" وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ"** (النحل:١٦)، لأن الناس وقته لم يعرفوا البوصلات ووسائل تحديد الاتجاهات المعروفة اليوم، واشترط أن لا يزاد في تعلم النجوم عن هذا الهدف، ويقصد عمر بذلك أن يتم استخدام علم النجوم في التنبؤ بالغيب وأعمال السحر والكهانة التي حرّمها الإسلام وحاربها

١ المرجع السابق ١٩٦

واعتبرها من الكفر والكبائر الخطيرة، لأنها تنازع الله في اختصاصه بعلم الغيب، إضافة إلى ما يسببه من مآس للناس وتفريق بينهم كما قال تعالى: " **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ..**" (البقرة:١٠٢) .

٢- علم الصناعة

- يقول (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) " إِنِّي لأَرَى الرَّجُلَ، فَيُعْجِبُنِي، فَأَقُولُ: لَهُ حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لا؛ سقط في عَيْنِي "[١]

ولقد طلب إلى أبي لؤلؤة غلام المغيرة أن ينجز ما ادعاه من اختراع طاحون تدور بالهواء، وهو علم الصناعات كما انتهي إليه في عصره، لا يضيره انه قسط ضئيل بل حرصه عليه مع ضالته دليل علي ما يلقاه من تشجيع الصناعة يوم يلقاها جليلة كبيرة الآثار[٢].

_ وكان يوصي الفقراء والأغنياء معاً " أن يتعلموا المهنة فانه يوشك احدهم أن يحتاج إلي مهنة وان كان غنيا "[٣]، إن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كان يدرك ببصره الثاقب ما للصناعة من أهمية في تقدم الأمم وسيما أن الله عز وجل قال: " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**" (الأنفال:٦٠)، وكلمة قوة نكرة والنكرة تفيد العموم كما يقول اللغويون ومن القوة التقدم الصناعي وخاصة في

---

١ المجالسة وجواهر العلم (٦/ ١٧١)

٢ عبقرية عمر ١٩٧

٣ المرجع السابق ١٢١

مجال وسائل الحرب والقتال ، وكذلك امتدح الله عز وجل داود(عليه السلام) حين قال عنه: **" وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ"** (الأنبياء:٨٠) ، **" وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)** سورة سبأ.

ونري اليوم دولة مثل اليابان استطاعت أن تنافس أمريكا التي ضربتها بالقنابل الذرية في الحرب العالمية الثانية، وذلك من خلال التقدم الصناعي الهائل والتكنولوجيا الحديثة، ولكن العالم الإسلامي ما زال عالماً مستهلكاً لا منتجاً مما يبقي تبعيته للغرب والشرق.

٣- علم الرياضة والصحة البدنية

- إن الآثار الواردة عن عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) في هذا المجال كثيرة يصعب حصرها في هذا البحث المتواضع ولذلك نختار منها ما يغطي الجوانب المختلفة لهذا الموضوع بإذن الله .

- قال عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) " علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخلل وثباً، ورووهم ما يجمل من الشعر. وخير الخلق للمرأة المغزل"[١].

- كتب عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) إلى المسلمين بأذربيجان حتى لا يعتادوا الراحة " أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّزِرُوا، وَارْتَدُوا، وَانْتَعِلُوا، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ، وَأَلْقُوا السَّرَاوِيلاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ، فَإِنَّهَا حَمَّامُ

[١] الكامل في اللغة والأدب ـ المبرد (ص: ٦٩، بترقيم الشاملة آليا)

الْعَرَبِ، وَتَمَعْدَدُوا، وَاخْشَوْشِنُوا، وَاخْشَوْشِبُوا، وَاخْلَوْلِقُوا، وَاقْطَعُوا الرُّكَبَ، وَانْزُوا نَزْوًا، وَارْمُوا الأَغْرَاضَ ". شرح السنة للبغوي (١٢/ ٤٦)

- ويقول(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): «لن تَخُورَ قُوًى ما دَام صاحِبُها يَنْزِعُ ويَنْزُو» – أي يرمي بالقوس ويركب ظهور الخيل من غير ركاب - تاج العروس من جواهر القاموس (٦/ ٣٧٥) .

وفي الصحة البدنية يقول (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) :" إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسم مؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من السرف وأصح للبدن وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه. وقال " إياكُم وكثرةَ الحمَّامِ، وكثرةَ طلاءِ النُّورة[1]،والتَّوطِّي على الفُرُشِ، فإنَّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعمين. " مسند الفاروق ت إمام (١/ ٢٩١).

إن المتأمل لهذه الآثار يستطيع أن يتبين ملامح المنهاج الرياضي والصحي كما يلي :

* يحدد مجالات الرياضة والمتمثلة في ركوب الخيل بغير ركاب عن طريق القفز على ظهره ، ورمي القوس التي قال فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا إن القوة الرمي – ثلاثاً– وكذلك السباحة والعوم، والمتأمل في هذه الرياضات يجد أنها كلها تستهدف بناء جسم المقاتل المسلم استعداداً للجهاد في سبيل الله، إضافة إلى أنها مظنة المتعة والترويح عن النفس.

[1] النورة: أَخْلاط تُستَعْمل لإزالة الشَّعْر من الجسم.

* يحدد الوسائل الكفيلة بالحفاظ على صحة الفرد وجمال هيئته مثل الإتزار والارتداء وهي لبس الثياب، والانتعال وهو لبس الحذاء الجيد، لأنه يطالب بإلقاء الخفاف وهي جمع خف من الجلد الرقيق، ويحدد نوع الثياب وهي ثياب إسماعيل عليه السلام أبو العرب، وينهى عن السراويل لأنها تضيق الحركة والخفة، ويدعو إلى الخشونة وترك التنعم وتقليد زي العجم؛ لما في ذلك من الليونة والتميع، ويدعو كذلك إلى التعرض للشمس لأنها حمام العرب الذين يعيشون في الصحراء الملتهبة بأشعة الشمس، وهو في ذلك يسبق العلم الحديث الذي اكتشف في أشعة الشمس ما يساعد على تكوين العظام وتقويتها وقتل الميكروبات.

* يحذر عمر(رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ) من الأسباب التي تهدم الصحة وتتمثل في البطنة وهي كثرة الأكل حتى يصير البطن سميناً وقد قالوا قديماً: " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء " والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول " مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٍ، وَثُلُثٌ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ " مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٤٢٢).

وزيادة على أن البطنة تسبب الأمراض الكثيرة التي تصيب الجهاز الهضمي فهي مع ذلك تضعف الذكاء والتفكير كما قيل " البطنة تذهب بالفطنة " والبطنة تكسل المرء عن الصلاة والطاعة لله وتورث الشهوة والتي ربما تورث الهلاك.

ويحذر كذلك عمر(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من كثرة الحمام، ويكنى به عن كثرة الجماع مما يضعف الجسم والبصر والذاكرة، ويحذر كذلك من التنعم بمظاهره المختلفة مثل حلق الشعر أو إزالته من الأماكن التي لم ينص عليها الشرع كالذقن والصدر والفخذين واليدين.

٤- الفن والغناء والتربية الخلقية

جيء برجل إلى عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يغني في الحج وقيل له : إن هذا يغني وهو محرم فقال: " دَعُوهُ، فإنَّ الغناءَ زادُ الراكبِ" مسند الفاروق ت إمام (١/ ٤٦٠)

- روى نائل مولى عثمان بن عفان أنه خرج في ركب مع عمر وعثمان وابن عباس وكان مع نائل رهط من الشباب منهم رباح بن المعترف الفهري الذي كان يحدو ويجيد الحداء والغناء فسألوه ذات ليلة أن يحدو لهم فأبى وقال مستنكرا (مع عمر !) قالوا احد فإن نهاك فانته فنصب لهم نصب العرب حتى إذا كان السحر قال له عمر كف فإن هذه ساعة ذكر ثم كانت الليلة الثالثة فسألوه أن يغنيهم غناء القيان فما هو إلا أن دفع عقيرته بغنائهن حتى نهاه وقال له كف فإن هذا ينفر القلوب[١] .

- وقال(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في الخُلُق: أحبكم إلينا أحسنكم أخلاقا . إن الجبت والسحر والطاغوت والشيطان والشجاعة والجبن تكون غرائز في الرجال ويقاتل الشجاع عن من لا يعرف ويفر

[١] عبقرية عمر ١٩٩-٢٠٠

الجبان عن أمه وإن كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وإن كان فارساً.[1]

إن نظرة تحليلية لهذه الأقوال والمواقف تصل بنا إلى الاستنتاجات التالية لمنهاج عمر(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) الفني والخلقي :

* أن الفن والغناء وأنواع المرح محببة إلى النفوس لأنها مغروزة فيها، فلا يستطيع المرء أن يعيش حياته كلها جداً في جد، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» مسند الحميدي (١/ ٢٥٠)
* إن هذا الغناء وهذا الفن وضع له الإسلام شروطاً منها: أن لا يلهي عن ذكر الله – أن لا يكون فيه غناء القينات وهن الجواري والنساء لما ورد في الحديث " من استمع إلى قينة صبّ في أذنيه الآنك يوم القيامة " والآنك هو الرصاص المذاب، وكذلك أن يهدف في كلامه إلى الخير والمعروف ومعاني الفضيلة لا إلى الكفر والميوعة والخلاعة.
* إذا هناك تلازم بين الفن والأخلاق فهي له كالسياج الحامي والدليل المرشد، ويبين رضي الله عنه أن الأخلاق غرائز في الرجال مثل الشجاعة ويقابلها الجبن فهي ليست مكتسبة رغم أن الواقع يصقلها وينميها والناس تتفاضل حسب الخلق والدين لا حسب الجنس واللغة .

---

[1] من أعلام التربية ٥١

٥- علم الحساب والتربية العقلية

- قال أبو هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): "قدمت من هجر والبحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب ممسيا أسلمه إياه فسأل كم هو ؟ قلت خمسمائة ألف درهم قال وتدري كم خمسمائة ألف درهم قلت نعم مائة ألف ومائة ألف خمس مرات قال أنت ناعس اذهب فبت الليلة حتى تصبح).

يقول العقاد " فلا يعقل مثلا أنه كان يجهل المعرفة العامة بالحساب وقد كان تاجرا منذ نشأته في الجاهلية وكان يحضر الجيوش ويعرف ما هي الألوف وما هي عشرات الألوف فإذا استفسر عن رقم معين فلن يكن إلا استفسار تجاهل واستعظام وليس بجهل وغرارة كما جاء في أخبار الخراج من هجر والبحرين " [١]

إذا كان عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يعرف علم الحساب لما له من أهمية في أمور كثيرة كالتجارة وإحصاء الجند وتوزيع الأموال وجبايتها، وكيف يجهل ذلك والقرآن أورد تقسيم الميراث وإعداد الجيوش وأعداد السنين وغير ذلك.

أما التربية العقلية فقد ربطناها بعلم الحساب لأنه علم يعتمد على العقل في التذكر والجمع والطرح والقسمة والضرب وغير ذلك من العمليات الرياضية فهي رياضة للعقل، وقد وضع عمر أساس التربية العقلية حين أرسل لأبي موسى الأشعري رسالة قال له فيها: " لَا يَمْنَعْكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ رَاجَعْتَ الْحَقَّ ، فَإِنَّ الْحَقَّ

[١] عبقرية عمر ١٩٩

قَدِيمٌ ، لَا يُبْطِلُ الْحَقَّ شَيْءٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ " السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٢٠٤)

نرى من خلال هذا الأثر منهجاً عقلياً متميزاً يدعو إليه عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في :

* أن الحق أحق أن يتبع وأن الخطأ مردود والرجوع إلى الحق فضيلة.

* التمادي في الخطأ يجر إلى خطأ أكبر منه حتى يصعب علاجه بعد ذلك.

* مصادر الفهم والتشريع والاسترشاد كتاب الله ثم سنة رسوله، فإن لم يجد فيها المرء جواباً واضحاً حدد وجه الشبة بين مسألته ومسائل قديمة وردت في الكتاب والسنة ثم قاس الحكم عليها، فإن لم يوجد شبه واضح افترض الفروض للعمل واختار أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، وهذا هو المنهج العلمي في التفكير كما توضحه الدراسات التربوية الحديثة

* وقد حدد عمر(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في آثار أخرى أن أصل المرء عقله وبيّن أن العاقل ليس من عرف الخير من الشر بل العاقل من عرف خير الشرين".

٦- الكتابة والقراءة والخط

قال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) " شَرُّ الْكِتَابَةِ الْمَشْقُ، وَشَرُّ الْقِرَاءَةِ الْهَذْرَمَةُ، وَأَجْوَدُ الْخَطِّ أَبْيَنُهُ " فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٥٢)

يحدد عمر(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هنا مواصفات الكتابة والقراءة والخط الجيد فيصف الكتابة المشقة أي التي لا يفهمها قائلها أنها شر أنواع الكتابة فهو يدعو إلى أن تكون حروف الكتابة واضحة

يسهل قراءتها وفهمها ولا تتداخل عباراتها بمعان لا تتناغم أو تتسق، أما بالنسبة للقراءة وهي وسيلة سمعية فلا بد من الأناة فيها لا التعجل حتى يستطيع السامع أن يفهم ما يقرأ، وبالنسبة للخط فأجوده ما كان واضحا بنيا يسهل قراءته، إذا فعمر بن الخطاب أهتم بهذه الأمور وحدد مقاييسها بشكل واضح.

القسم الثاني : طرق التدريس في المنهاج العمري :

نتحدث في هذا الجانب عن عدة مواضيع لها علاقة بالتدريس وهي :

١- تنويع أساليب التدريس
٢- مراعاة الفروق الفردية
٣- تشجيع المتفوقين وإعطائهم الثقة بالنفس
٤- الثواب والعقاب
٥- أدب الاختلاف

أولا – تنويع أساليب التدريس

أخرج ابن السمعاني عن مكحول قال " كان عمر بن الخطاب يحدث الناس فإذا رآهم قد تنابوا[١] وملوا أخذ بهم في غراس الشجر "[٢]

إنه الفقه العمري الأصيل المتخرج من مدرسة النبوة المرهف الإحساس بمشاعر الناس فهو ينوع في أسلوبه، فمرة يلقي عليهم المواعظ ومرة يخرج بهم ليغرسوا الشجر وهو درس عملي، أي درس نظري يتبعه درس عملي، مما يجدد النشاط ويبعث الهمة،

---

[١] تنابوا: نبا الشيء عنه: تجافى وتباعد
[٢] حياة الصحابة ٢١٨

أما التدريس على وتيرة واحدة فمن شأن هذا أن يبعث الملل وعدم الفهم، وهذا ما يجب على المعلمين الانتباه إليه فإن أحسوا مللا من الطلاب غيّروا أسلوب التدريس وأدخلوا وسائل مشوقة للتعليم كأجهزة العرض والفيديو التعليمي والمصورات والتجارب.

ثانيا – مراعاة الفروق الفردية

عن قرظة بن كعب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) قال : خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) إلى صرار[1]، فتوضأ ثم قال : أتدرون لم مشيت معكم . قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشيت معنا . قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن وأقلوا الرواية، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، امضوا وأنا شريككم". كنز العمال (٢/ ٢٨٥)، فلما قدموا قرضة قالوا : حدثنا قال : نهانا ابن الخطاب " قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد .

يتضح من هذه الرواية أن عمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) أدرك مستوى وعي أهل القرية وتمسكهم بالدين فهم في بداية تمسكهم بالإسلام ولا يصح إشغالهم بحديث رسول الله عن القرآن خوف أن يتداخل معه عند هؤلاء القوم، فنصحهم أن يحدثونهم بل يوعونهم بالقرآن حتى يرسخ في قلوبهم، وبعد ذلك يمكن رواية الحديث لهم.

[1] بئر قديمة على ثلاث أميال من المدينة المنورة من طريق العراق.

ثالثا – تشجيع المتفوقين وإعطائهم الثقة بالنفس

عن ابن عباس(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ» وكان مجلسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يغص بالقراء شبابا وكهولا فربما استشارهم ويقول " لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء " صحيح البخاري (٥/ ١٤٩)

يتبين لنا من هاتين الروايتين أن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كان يشجع المتفوقين وإن كانوا صغاراً في السن، حتى أنه يجلسهم معه في مجالس الشورى يبتغي حدة عقولهم، وينمي فيهم الثقة بالنفس حتى يشبوا على ذلك، ومن شان هذا الأسلوب أن يوجد جيلاً متفتحاً واثقاً من نفسه لا يرضى بالتبعية العمياء بل لا يرضى بغير القيادة بديلاً.

رابعا– الثواب والعقاب

قال عمر لأبي موسى الأشعري حين وجهه إلى البصرة إياك والسوط والعصا فاجتنبهما حتى يقال ليّن من غير ضعف واستعملهما حتى يقال شديد في غير عنف[1].

* حدثنا الحجاج حدثنا حماد قال أخبرنا زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا بعثني إلى بعض ولده قال : لا تعلمه لم أبعث إليه مخافة أن يلقنه الشيطان كذبة[2].

إن عمر بن الخطاب(رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ)يؤمن بسياسة الثواب والعقاب لما لهما من أثر في التحفيز للاجتهاد والتخلص من أسباب الفشل والتقصير، ولذلك اشتهر عنه بأنه كان يحمل معه درته المشهورة يؤدب بها المخالفين للشرع، ولكن عمر يحدد هذه السياسة بصفة الوسطية والاعتدال والتوازن دون إفراط ولا تفريط، فلا تستخدم العصا حين ينفع اللين، ولا تترك حيث تنفع الشدة، فلكل حالة ما تستحقه من أسلوب الثواب والعقاب المناسبين، وكذلك أرشدنا عمر إلى عدم التخويف بالعقوبة مسبقا للأطفال؛ مخافة أن يكذبوا وينتحلوا الأعذار لينجوا من العقوبة، بل يستجوبوا بطريقة ذكية فإن استحقوا عقوبة عوقبوا وإلا فلا، ولكن عمر لم يجعل سياسة الثواب والعقاب هي الوسيلة الوحيدة لتوليد الدافعية، بل وجه ندائه إلى ضمير الفرد لكي يكون رقيباً على تصرفاته، ودعا إلى مبدأ التقويم الذاتي حين قال: " حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ - أَوْ قَالَ: أَيْسَرُ - لِحِسَابِكُمْ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا،

---

[1] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ١٠٩

[2] كتاب المعرفة والتاريخ ٤٦٠

وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: ١٨] " الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ١٠٣)

خامسا– أدب الاختلاف

أخرج الخطيب في رواية مالك عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) كانا يتنازعان في المسالة بينهما، حتى يقول الناظر إليهما لا يجتمعان أبدا فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله[١].

إن الاختلاف بين الآراء شيء فطري لتفاوت العقول و الأفهام وهو مشروع ما دام الهدف منه هو البحث عن الحق وكما قيل: الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، ولكن المذموم هو أن يصل الخلاف إلى خلاف القلوب وتنافرها، ووصول الخلاف إلى حد الجدال والمراء، فهذا منهي عنه كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة" . الموطأ (٣/ ٤٠٢)

وحين يتربى المتعلمون على هذه الآداب الرفيعة فإنهم سيكتسبون جرأة النقاش واستقلالية الشخصية وألمعية الفكر، مما يثري العلم والمجتمع ويجعل الأمة كلها أمة واعية تزن ما تسمعه بميزان الشرع والعقل؛ فلا يستطيع عدو أن يغزو فكرها أو أخلاقها.

---

[١] حياة الصحابة ج٣صـ٢١٩

مراجع البحث

القرآن الكريم
كتب الحديث الشريف
١. ابن المبرد الحنبلي، يوسف بن حسن (٢٠٠٠م): محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية
٢. أبو الحسن الماوردي (١٩٨٦م): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة.
٣. أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (١٤١٩ه): المجالسة وجواهر العلم، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان).
٤. أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت.
٥. أبو حيان التوحيدي (١٩٨٨م): البصائر والذخائر، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت.
٦. أبو عبد الله محمد بن سعد (١٩٩٠): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت.
٧. أبو عمر يوسف القرطبي (٢٠٠٣): جامع بيان العلم وفضله، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم.
٨. أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (١٩٨١ م): كتاب المعرفة والتاريخ . تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.
٩. الإمام ابن الجوزي (١٩٩٢ م): صفة الصفوة . الجزء الأول . دار الفكر للطباعة والنشر .
١٠. جلال الدين السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر – بيروت.

١١. سعيد الديوه جي (١٩٨٨م): من أعلام التربية العربية الإسلامية . المجلد الأول – الرياض . مكتب التربية العربي الأول . الخليج . الطبعة الأولى ، بحث " عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية " إعداد الدكتور علي خليل مصطفى أبو العينين.

١٢. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي: سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

١٣. عباس محمود العقاد (١٩٦٩ م): عبقرية عمر . بيروت لبنان . دار الكتاب العربي.

١٤. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي : جامع الأحاديث ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د علي جمعة (مفتي الديار المصرية).

١٥. عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون بترقيم المكتبة الشاملة.

١٦. عمر محمد التومي الشيباني (١٩٩٢ م): من أسس التربية الإسلامية . الطبعة الثانية، ليبيا . منشورات الجامعة المفتوحة.

١٧. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (١٩٦٨م): إعلام الموقعين عن رب العالمين، المحقق : طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة.

١٨. محمد بن أحمد أبو عبد الله المالكي (١٩٨٩م): منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر – بيروت.

١٩. محمد رواس قلعة جي (١٩٨١ م) : موسوعة فقه عمر بن الخطاب . الطبعة الأولى .

٢٠. محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، القاهرة . مكتبة دار التراث.

٢١. المنجد في اللغة والأعلام (١٩٧٢ م): دار المشرق . بيروت لبنان . الطبعة الحادية والعشرون.

مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

ملخص بحث

مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي[1]

هدف هذا البحث للكشف عن مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي ـــرَحِمَهُ ٱللَّهُ- من خلال استخدام أسلوب تحليل المحتوى لبعض النصوص التربوية الواردة عن الإمام سواء كانت شعراً أو نثراً.

وتناول الباحث هذه المقومات من خلال الحديث عن مؤهلات التجديد عند الإمام الشافعي، وخصائص تربية الشخصية الإسلامية، ثم الحديث عن مقومات الشخصية الإسلامية عند الإمام الشافعي، وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها: امتلاك الإمام الشافعي لمؤهلات التجديد التربوي، وأن مقومات الشخصية الإسلامية هي مقومات شاملة تتمثل في: المقومات العقدية، والمقومات العبادية، والمقومات الأخلاقية، والمقومات العلمية، والمقومات الاجتماعية، والمقومات الجمالية، والمقومات الإبداعية، والمقومات الصحية.

وأوصى الباحث باعتماد مقومات الشخصية الإسلامية الواردة في فكر الإمام الشافعي أساساً لمناهج التربية الإسلامية الفلسطينية، وإجراء مسابقات بحثية في توظيف تراث الإمام الشافعي لمعالجة قضايانا المعاصرة في مجالاتها المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الشخصية المسلمة- الفكر التربوي- الشافعي

---

[1] بحث محكم نشر في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية- غزة – فلسطين، العدد الثاني (المجلد الرابع)، بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٠، ص ص٨٤-١٠٤

Abstract

Personal elements of the Islamic Educational Thought of Imam Shafi'i

This research aims to reveal the personal elements of the Islamic Educational Thought of Imam Shafi'i - may God have mercy on him - through the use of content analysis of some educational texts received from Imam, whether poetry or prose.

And will address the researcher these ingredients by talking about the qualifications of renewal at the Imam Shafi'i, and characteristics of breeding Islamic character, then talk about the elements of the Muslim personality to Imam Shafi'i (Streptococcus, and worship, and moral, scientific, social, aesthetic, and creative), and hopes the researcher to reach at the end of his research findings and recommendations to contribute to building an educational vision for the preparation of Islamic personality through the educational thought of Imam Shafi'i - may God have mercy on him.

Key words: personal Amuslimh- thought Educational – Shafei.

مقدمة:

جاء الإسلام إلى هذه الدنيا ليعيد صناعة الإنسان من جديد، ويحرره من إسار الشهوات والشبهات، والعبودية لغير الله (عز وجل)، ويرفع عنه الظلم، ويرسي قواعد العدل، ليحيا الإنسان حياة طيبة، ملؤها الرضا والطمأنينة، والتعايش السلمي بين الناس، لكي يتعاونوا معاً في إعمار الأرض وإقامة الخلافة عليها كما أمر الله.

ومن أجل تحقيق ذلك كانت أداة الإسلام هي التربية الإسلامية القادرة على تزكية النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتثقيف العقول، وتوجيه السلوك، والمتأمل لآي القرآن والأحاديث النبوية والتراث الإسلامي الذي تركه السلف الصالح، يجد مساحات واسعة للتربية الإسلامية، وخاصة ما يتعلق ببناء الشخصية المسلمة، وتقويم اعوجاجها كلما انحرفت عن الطريق المستقيم.

وبالرجوع إلى الأدبيات التربوية الإسلامية نجد أن الشخصية المسلمة شخصية ربانية، لا تحكمها الأهواء، وإيجابية تقدم الخير للآخرين، ومتوازنة تعطي كل ذي حق حقه، وواقعية لا تحلق في الخيال، ومرنة تتجاوب مع التغيرات،لذلك فالتربية الإسلامية تبني إنسانًا بناءً شاملاً: إيمانيًا وروحيًا وعقليًا وجسديًا وأخلاقيًا واجتماعيًا ووجدانيًا وإبداعيًا أي في كل جوانبه الحياتية.

وفي عصر العولمة حيث الانفتاح وزوال الخصوصية الثقافية للشعوب، تشتد الحاجة إلى تحصين الشخصية المسلمة من رياح التذويب والتغريب، ولا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به

أولها، ولذلك رأى الباحث ضرورة الرجوع إلى الفكر التربوي الإسلامي التراثي لاستلال الدواء الناجع لمشكلات عصرنا، إذ تكفل الله بحفظ الإسلام إلى يوم القيامة، من خلال حفظ منابعه الأصيلة من التحريف والانتحال والتأويل الباطل، وانتدب لذلك رجالاً علماء من أمة محمد (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، لا تقر لهم عين ولا يهدأ لهم بال حتى يروا دينهم غضاً طرياً صافياً نقياً كما أنزل، ومادام أن المرجعية الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة محفوظة بجهود هؤلاء العلماء العدول، فإن همتهم لا تقف عند هذا الحد، بل تتعداه لإحياء هذه الشريعة في حياة المسلمين وتجديد أحكامها في كل الميادين، فتنفض عن الأمة الذل والهوان، والتخلف والضياع، والفرقة والشتات.

وعلى أرض فلسطين نبغ الكثير من العلماء والدعاة الذين تركوا بصماتهم واضحة، وتربت على تراثهم الأجيال، ونهلت من معينهم الثر ومضت على خطاهم في صراط مستقيم، ففلسطين أنجبت أمثال أبو قدامة المقدسي، وابن حجر العسقلاني، والشافعي والصفدي ومحمد دروزة وعبد الله عزام وغيرهم الكثير.

وخلال إطلاع الباحث وجد أن الإمام الشافعي من أفضل من ترك تراثاً تربوياً يساهم في إعادة بناء الشخصية المسلمة من جميع جوانبها المختلفة،لأن الشافعي يعتبر درة في تاج العلماء الذين حفظ الله بهم هذا الدين، فجدد واجتهد، وكان من المجددين الذين قال فيهم النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " (رواه أبوداود٤/

١٧٨: ٤٢٩٣)، واضاف علوماً جديدة لا زلنا إلى اليوم نتتلمذ عليها، وننهل من معينها، ولم يكن الشافعي صاحب مذهب فقهي فحسب؛ بل كان صاحب مدرسة تربوية فذة، رسمت معالم المنهج الإسلامي التربوي لبناء الإنسان المسلم الذي يجمع بين الاصالة والمعاصرة، والدين والدنيا، وبناء الذات والمجتمع، فهو ممن عناهم قول النبي (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ): " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " (رواه الطبراني ١/٣٤٤: ٥٩٩)،

واستخدم الباحث المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى ، والمنهج الاستنباطي لاستخراج هذه المقومات مما تركه الشافعي من تراث نثراً ككتاب الرسالة والأم ، أوشعراً والذي تم تجميعه في ديوان الشافعي، وسار الباحث على خطة واضحة في بحثه إذ مهد بالحديث عن المؤهلات التربوية للإمام الشافعي، ثم مقومات الشخصية المسلمة في مجالاتها الثمانية (العقدية، والعبادية، والأخلاقية، والعلمية، والاجتماعية، والجمالية، والإبداعية)، وفي نهاية البحث قدم الباحث خلاصة بالنتائج والتوصيات والمقترحات لأبحاث جديدة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تتمثل مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

١. ما المؤهلات التربوية التي تمتع بها الإمام الشافعي كمفكر تربوي؟

٢. ما مقومات اللشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الوصول إلى مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي من خلال تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

١. دراسة المؤهلات التربوية التي تمتع بها الإمام الشافعي كمفكر تربوي.

٢. تحديد مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١. يساهم في الكشف عن معالم التربية الإسلامية للشخصية المسلمة في فكر الإمام الشافعي، والإفادة منها في إعادة تربية الإنسان المسلم في هذا العصر مرة أخرى، ليستعيد دوره التاريخي، وريادته للعالم في العلم والحضارة.

٢. قد يفيد العاملين في المجال التربوي لبناء المناهج التعليمية القادرة على تنشئة الجيل المسلم على المقومات الصحيحة لبناء الشخصية الايجابية المنتجة.

٣. يمثل هذا البحث دراسة سابقة للباحثين في المجال التربوي لبناء الشخصية المسلمة.

٤. قلة الأبحاث التي تناولت الفكر التربوي للإمام الشافعي.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المناهج التالية:

المنهج الوصفي التحليلي، والذي يهدف إلى وصف الظاهرة وتحليلها وربطها بالواقع الاجتماعي الذي يوجد فيه الإنسان مع ربط نتائجها بنتائج ما توصلت إليه الدراسات الأخرى (أبو هين،٢٠٠١، ١٣٨).

المنهج الاستنباطي:هو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقللي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة التوضيحية. (شحاتة والنجار،٢٠٠٣:ص٢٩٩).

ويعرفه (مقداد،٨٩:٢٠٠٤) بأنه: "الاستدلال الذي ينتقل من الكل إلى الجزء أو من العام إلى الخاص، والاستنباط يبدأ أو يستند إلى مسلمات أو نظريات ثم يستنبط منها ما ينطبق على الجزء المبحوث ..ويمر الاستنباط بثلاث خطوات وهي: المقدمة المنطقية الكبرى وتتمثل في المبادئ العامة (المسلمات)، والمقدمة المنطقية الصغرى وهي المبدأ الخاص المبحوث الذي ينطبق مع المسلمات العامة. ثم النتيجة التي تتم بالربط بين المقدمتين.

وبناء على هذين المنهجين قام الباحث باستعراض ما كتبه الإمام الشافعي وما كتب عنه، وتم استخراج أقوال ومواقف الشافعي التي تتلائم مع مقومات بناء الشخصية الإسلامية في جوانبها الثمانية، وتحليلها، ثم استنباط الجوانب التربوية منها، ومن أهم هذه الكتب:

١. الأم: للشافعي
٢. أحكام القرآن: للشافعي
٣. الرسالة: الشافعي
٤. **مناقب الشافعي:** للبيهقي
٥. ديوان الإمام الشافعي:تحقيق:(عبد الرحمن المصطاوي)

حدود الدراسة:

تتمثل حدود هذه الدراسة فيما يلي:

الحد الموضوعي:

حيث يتناول البحث جانب مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي، من خلال تحليل بعض نصوص الإمام الشافعي وأقواله التي أثرت عنه.

مصطلحات الدراسة:

الشخصية : الشخصية لغة (الشخص)" سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد وجمعه في القلة(أشخص) وفي الكثرة (شخوص) و(أشخاص)". (الرازي، ٣٣١)

الشخصية اصطلاحاً: وهي" التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخُلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها" (عويضة،١٩٩٦:٨)

الشخصية المسلمة : يعرفها (يالجن) بأنها : "مجموعة الصفات الاعتقادية والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية،

والإرادية، والصحية، والعقلية، والعلمية، والإبداعية وذلك حسب ما قرره الإسلام لهذه الجوانب" (يالجن،١٩٩٠: ٦٨)

مقومات الشخصية: يعرفها الزاملي بأنها" الأسس والمرتكزات العقدية والعلمية والتعبدية والخلقية والاجتماعية والجمالية والابداعية التي تمثل ضوابط بناء الشخصية ومعايير سلوكها وفكرها"،(الزاملي،٢٠٠٦ :٥).

ويعرفها الباحث إجرائياً: بأنها الأسس العقدية، والعبادية، والأخلاقية، والعلمية، والاجتماعية، والجمالية، والإبداعية للشخصية المسلمة كما توصل إليها الباحث في تحليله للفكر التربوي للإمام الشافعي.

الفكر التربوي: هو "ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعلم الإنساني، وتنمية الشخصية وشحذ قدراتها، ويتضمن: النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان" (زيادة،٢٠٠٢، ٦).

الفكر التربوي الإسلامي: عبارة عن "مجموعة الآراء والأفكار والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء المسلمين، وتتصل اتصالاً مباشراً بالقضايا والمشكلات التربوية" (الخطيب،١٩٩٥، ٤٤)

الدراسات السابقة

دراسة الهمداني (١٤٣٢هـ-٢٠١١م) منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب وأثره في بناء جوانب الشخصية.

هدف الباحث من خلال دراسته إلى بيان ما تميزت به التربية الإسلامية عن غيرها من مناهج التربية في إصلاح القلوب، وأثر ذلك على جوانب الشخصية، وقامت هذه الدراسة على منهج البحث الاستنباطي، وتوصل الباحث إلى نتائج من أهمها أن للقلب مكانة ، وأهمية كبيرة، يعول عليها في صلاح الأفراد، و أن لصلاح القلب آثار حميدة، تعود على الشخصية الإنسانية؛ في كافة جوانبها: الإيمانية والعقلية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والجسمية.

دراسة حتحت (٢٠٠٩): دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف عليه السلام.

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف عليه السلام، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لسورة يوسف لدراسة هذا الدور، وتناولت في دراستها دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يعقوب -عليه السلام-، و دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يوسف -عليه السلام-، ثم دور العقيدة في تحقيق النصر والتمكين للأمة في ضوء سورة يوسف -عليه السلام-، وتوصلت الباحثة إلى عدد من النتائج أهمها: أن الشخصية المسلمة : هي الشخصية التي جعلت الأنبياء وخاتمهم محمدا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قدوتُها في كل شيء،

وأن قوة الإيمان بالله، وقوة العقيدة عند الإنسان هي التي تجعله يصبر على الآلام، وأوصت كل مسلم ببناء شخصيته من خلال التمسك بالعقيدة الإسلامية، وعمل الطاعات، والعنايةُ التامة بدراسة قَصص الأنبياء.

دراسة الزاملي (٢٠٠٦): مقومات الشخصية الإسلامية وأساليب بنائها في فكر سيد قطب.

هدفت الدراسة إلى إيضاح مقومات الشخصية الإسلامية في فكر الشهيد سيد قطب، وبيان أساليب بنائها، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته، وخلص إلى أن سيد قطب انطلق في تصوراته للشخصية الإسلامية من العقيدة الإسلامية الصحيحة، وأن استعادتها لدورها يتوقف على التزامها بالإسلام، وخاصة المقوم العقدي، واعتبر الباحث أن أسلوب التوبة والغفران أهم أساليب بناء الشخصية، وأوصت الدراسة بانتقاء أفضل المربين لبناء مقومات الشخصية الإسلامية.

دراسة النمشه (٢٠٠٥): مقومات الشخصية الدعوية المؤثرة وأساليب التأثير.

هدفت الدراسة إلى بيان مقومات الشخصية الداعية من النواحي السلوكية والعلمية والعملية، و ما ينبغي أن يتصف به أداء الداعية في تربية الصغار كأب أو كمربٍ، واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي و المنهج الاستنباطي من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتوصل الباحث إلى أن للشخصية الدعوية مقومات متنوعة منها المقومات السلوكية، ومنها العلمية

ومنها العملية، وأوصى بإنشاء مركز لتدريب الخطباء، والاهتمام بوسائل التأثير الإعلامية الحديث.

دراسة الرشيدي (٢٠٠١): مقومات بناء الإنسان في الأسرة، مدخل أساسي لتنمية الفرد وتقدم المجتمع.

هدفت الدراسة للتعرف على التغيرات العالمية المعاصرة؛ وانعكاساتها على مفهوم الأسرة، وتعرض الباحث في دراسته لمقومات بناء الإنسان في الأسرة، وتناول دور الأسرة في البناء النفسي للشخصية، واستخدم المنهج الوصفي في دراسته، وخلصت الدراسة إلى طرح رؤية موسعة لقضايا الأمة الاجتماعية، كمدخل لبناء الإنسان العربي في ظل متغيرات العصر.

دراسة العسلي (٢٠٠٠): بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة.

هدفت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى بناء إطار عام للتربية الإسلامية يمكن تطبيقه في حياة الفرد والأمة، وضرورة التكامل في إعادة صياغة العقل المسلم والنفسية الإسلامية والحركية الإسلامية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الباحثة إلى عدد من النتائج أهمها: أن التربية الإسلامية ذات أهمية كبرى في تكوين الشخصية الإيمانية، وأنه لابد من ثورة تربوية تبدأ من نواة المجتمع الأولى وهي الفرد، وخاصة من مرحلة الطفولة المبكرة.

دراسة الكيلاني (٢٠٠٠) : مقومات الشخصية المسلمة

جاءت هذه الدراسة في أحد عشر فصلاً، تناول فيها الباحث مفهوم العمل الصالح، وعناصر الإنسان الصالح، وإحكام تربية

القدرات العقلية، وتربية الفرد على تعشق المثل الأعلى، وتنمية الخبرات الدينية والاجتماعية والكونية عند الفرد، وتربية الإرادة عند الفرد، وإحكام تنمية القدرة التسخيرية، وإحكام توازن الإرادة العامة والقدرة التسخيرية في تربية الفرد، وأزمة تربية الفرد في المؤسسات التربوية القائمة في الأقطار العربية، وفي الفصل الأخير خاتمة وتوصيات من أهمها: وجود ((مؤسسة تنظير أو اجتهاد تربوي)) تضم مجموعات – أو وحدات – تربوية يتوازى تصنيفها وعددها مع تصنيف وعدد عناصر العمل الصالح، و إقامة ((مختبر التطبيقات التربوية)) اللازم لتجريب الأفكار والتصورات التي يفرزها مجتهدو مؤسسة التنظير التربوي بغية تحويل الفكرة الى عمل.

دراسة فلمبان (١٩٨٧): مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي.

هدفت الباحثة في دراستها إلى التعرف على الجوانب التربوية من خلال ديوان الإمام الشافعي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) وبالتالي التعرف على نظرة الإمام الشافعي التربوية بصفة عامة ومعرفة نواحي الاستفادة من آراء الإمام التربوية في عصرنا الحاضر في مجال التربية والتعليم، واستخدمت الباحثة المنهج التحليلي، وتناولت فيه عصر الإمام الشافعي وسيرته، و نظرة الإمام الشافعي التربوية وأقسام التربية عنده والتي حددتها بجوانب التربية العقدية والجوانب التربوية الفكرية وموضوع العالم والمتعلم، و مبادئ التربية الاجتماعية الأخلاقية السلوكية عنده .. وأخيراً قامت

الباحثة بتطبيق آراء الإمام الشافعي على بعض المقررات مثل مقرر الحديث والثقافة الإسلامية.

و توصلت الباحثة إلى العديد من النتائج من خلال تنفيذها لهذه الدراسة منها: أن عصر الإمام الشافعي من أنضر عصور الإسلام نشاطا وأكثرها عددا من الفقهاء المجتهدين، وأخذ الشافعي علمه من التيار الأصيل وتأثر بمدرسة مكة والمدينة حيث جمع من القرآن والحديث، و ساعد الشافعي في إعمال العقل والتفكير واستنباط أصول المسائل الصحيحة مما أدى إلى المنهج العقلي الواضح، وأن مبادئ الإمام الشافعي التربوية تلتقي بكثير من الآراء التربوية في العصر الحاضر مثل مفهوم الفكر، السلوك، الآداب التربوية.

التعليق على الدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات السالقة، يرى الباحث أن دراسته تلتقي مع الدراسات السابقة في كثير كم الاستنتاجات التي توصلت إليها، مثل ضرورة الاهتمام بالتربية العقدية الإيمانية كمحور امطلاق لتربية بقية جزانل الشخصية، كما أن الدراسة الحالية تتفق مع الدراسات السابقة في موضوع الدراسة الذي يدور حول الشخصية الإسلامية، عدا دراسة فلمبان، والتي تتفق مع هذه الدراسة في الجانب التربوي من أدب الإمام الشافعي، والتي تعتبر أقرب الدراسات لهذه الدراسة.

وكذلك تتفق هذه الدراسة مع أغلب الدراسات السابقة في استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ عدا دراسة النمشه التي

استخدمت المنهج الاستقرائي و المنهج الاستنباطي، وكذلك دراسة الهمداني التي استخدمت منهج البحث الاستنباطي، وجمعت هذه الدراسة بين المنهجين الوصفي والاستنباطي، وتفردت هذه الدراسة بتناول مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي، حيث لم يعثر الباحث على أي دراسة حول هذا الموضوع –في حدود علمه- فكان لا بد من سد هذا النقص في الأدب التربوي الإسلامي.

الإجابة على السؤال الأول ونصه: ما المؤهلات التربوية التي تمتع بها الإمام الشافعي كمفكر تربوي؟

من خلال الرجوع إلى سيرة الإمام الشافعي –رضي الله عنه- وما كتب عنه، يتبين أنه توفرت فيه مقومات التجديد بمفهومه المطلق، كصاحب مذهب فقهي له أتباعه في مشارق الأرض ومغاربها، وكذلك توفرت فيه مؤهلات التجديد التربوي؛ التي جعلت من أقواله ومواعظه أمثلة سائرة على الألسن، وفي الكتب التربوية، لا يستغني عنها باحث تربوي، ولا مربي مسلم، وتمثلت هذه المؤهلات فيما يلي:

١. تنوع البيئات:

تنقل الشافعي بين بلاد عديدة ساهمت في تشكيل شخصيته، وإكسابه مقومات التجديد والإبداع، فقد "ولد الشافعي بغزة عسقلان –فلسطين- ولما بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز، ودخلت به إلى قومها وهم من أهل اليمن؛ لأنها كانت أزدية فنزلت

عندهم، فلما بلغ عشراً خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع فحولته إلى مكة" (العسقلاني،١٩٨٦: ٥٢)

وذهب كذلك إلى العراق ومصر كما أورد البيهقي قال: "سمعت الزعفراني، يقول: قدم الشافعي؛ رضي الله عنه، سنة خمس وتسعين إلى بغداد، وخرج بعد ذلك إلى مكة، ثم رجع فأقام أشهراً، ثم خرج إلى مصر، فمات بها سنة أربع ومائتين" (البيهقي،١٩٧٠: ٢٢٠).

٢. التنوع العلمي:

قال البيهقي في كتابه " مناقب الشافعي" " وفي قول رسول الله (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لا تسبوا قريشاً؛ فإن عالمها يملأ الأرض علماً، ويملأ طبق الأرض علما" –علامة بينة، إذا تأملها الناظر الفائق المميز علم أن المراد بذلك رجل من علماء هذه الأمة من قريش، قد ظهر علمه فانتشر في البلاد، وكتبت كتبه وتآليفه كما تكتب المصاحف، ودرستها المشايخ، والشبان، والأحداث، في مجالسهم وكتاتيبهم، وصيروها كالإمام، واستظهروا أقاويله، وأجروها في مجالس الحكام، والأمراء، والقراء، وأهل الآثار، وغيرهم. وهذه صفة لا نعلمها قد أحاطت بأحد إلا بالشافعي-–رَحِمَهُ ٱللَّهُ-" (البيهقي،١٩٧٠:٢٩)، وظهر هذا التنوع العلمي من خلال:

١-الجمع بين العلوم المختلفة: أورد البيهقي في كتابه "مناقب الشافعي" أبواباً عديدة في العلوم التي برع فيها الشافعي كعلوم العقيدة والتفسير والحديث، والسيرة والتاريخ، وعلم القراءات، والتجويد، والفقه وأصول الفقه والجرح والتعديل، وأصول الكلام،

وعدد له البيهقي "مائة ونيف وأربعون كتابا" (البيهقي،ج١٩٧٠،١ :٢٥٤).وعقد له باباً في معرفته بالطب وآخر بالنجوم وثالث باللغة العربية والأدب والشعر ورابع بالرمي والفروسية وخامس بالفراسة ومعرفة الرجال (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠).

ومما يدل على سعة علمه أنه كان إذا صلى الصبح جاءه أهل القرآن يسالونه، فإذا طلعت الشمس جاءه أهل الحديث يسألونه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة، فإذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار، ثم ينصرف إلى منزله. (العسقلاني،١٩٨٦: ١٠٥)

ومع سعة علم الشافعي وكثرة كتبه؛ إلا أنه كان شديد التواضع والإخلاص، ولذا اثر عنه قوله: "وددت أن الناس، أو الخلق، تعلموا هذا-يعني كتبه- على أن لا ينسب إلي منه شيء"، ولما سئل محمد بن اسحاق بن راهويه : كيف وضع الشافعي هذه الكتب كلها ولم يكن بكبير السن؟ فقال: عجل الله له عقله لقلة عمره" (البيهقي،ج١٩٧٠،١ :٢٥٨)، وقد عاش الإمام الشافعي (٥٤) عاماً بين (١٥٠-٢٠٤هـ).

٢-الأخذ عن العلماء وأئمة المذاهب المختلفة: تتلمذ الإمام الشافعي على يد كثير من العلماء في زمانه، ومنهم الإمام "مالك بن أنس"، فقد حفظ كتابه "الموطأ" وهو ابن ثلاث عشرة سنة حيث اعجب به وقال له: أنت يجب أن تكون قاضياً. (البيهقي،ج،١٩٧٠: ١٠١١)، وعدد العسقلاني (٧٩) من الشيوخ

العلماء الذين تتلمذ عليهم الشافعي، ومنهم سفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض وغيرهم (العسقلاني،١٩٨٦ :٦٢-٧١).

٣. صفاء المنبع وسلامة الفهم:

فقد شهد له علماء المسلمين في زمانه وبعد وفاته؛ بسعة العلم ودقة الفهم في مجالات العلم المختلفة، هذا الفهم المستمد من الكتاب والسنة وعقيدة السلف، فقد أورد البيهقي عدداً من هذه الشهادات في كتابه "مناقب الشافعي" (ج٢، ١٩٧٠: ٢٤٣) ومنها: "أن سفيان بن عيينة كان إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يُسأل عنها التفت إلى الشافعي فقال: سلوا هذا الفتى"، واذن له علماء زمانه بالفتيا وهو لا يزال صغيراً، فهذا "مسلم بن خالد يقول للشافعي: قد والله آن لك أن تفتي – وهو ابن خمس عشرة سنة".

وشهد له "عبد الرحمن بن مهدي"-المقدم في عصره في علم الحديث والفقه- بدقة الفهم فلما عرض عليه كتاب الرسالة للشافعي وقرأه قال: هذا كلام رجل فهم.

٤. القدوة الصالحة:

كان الشافعي قدوة صالحة فيما يدعو إليه من مكارم الأخلاق والعبادات والمعاملات، ومن ذلك علاقته بربه وزهده في الدنيا فكان يجزأ الليل ثلاثة أثلاث: ثلث يكتب وثلث يصلي وثلث ينام فيه، ووصفه بحر بن نصر بقوله : ما رأيت ولا سمعت كان في عصر الشافعي أتقى لله ولا أروع من الشافعي، ولا أحسن صوتاً منه بالقرآن ، وكان يختم في كل شهر ثلاثين ختمة، وفي شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة ، ولم يحلف بالله قط

صادقاً ولا كاذباً، ولم يكذب قط ، ولم يشبع طيلة عشرين سنة من الطعام ، أما سخاؤه وكرمه فقد وصفه "عمرو بن سواد" بأنه كان اسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام، مما سبب له الإفلاس مرات عديدة. (البيهقي،ج٢ ،١٩٧٠ :١٥٨-١٦٧).

٥.قوة الحجة والمناظرة:

"لم يعرف في عصر الشافعي من له قدرة الشافعي على المناظرة وإفحام الخصم، في جميع المسائل الاجتهادية، وهذا ما شهر به بين العلماء، وما من أحد في عصره كملت فيه أدوات المناظرة واسباب الفلج كما كملت فيه، ومن أعظم هذه الأدوات: حدة ذكائه، وسرعة خاطره، وتوثب الحجج إلى ذهنه". (الدقر، ١٩٩٦: ٢٣٦-٢٣٧)

ويصور هارون بن سعيد قوة مناظرة الشافعي بقوله: "لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة، بأنه من خشب لغلب، لاقتداره على المناظرة" (طبقات الشافعية،١٣٩،٢)، وقال الربيع للمزني : لو ناظر –أي الشافعي- الشيطان قطعه وجدّله-أي صرعه-" (الوافي بالوفيات(الصفدي، ٢٠٠٠،ج٢ :١٧٥).

ومع قوة مناظرته إلا أنه كان لا يبتغي إلا الحق فهو القائل: "ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق أو يسدد أو يعان، ويكون له رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه" (العسقلاني،١٩٨٦: ٦٥) ، و كان يلتزم بآداب المناظرة من خفض الصوت، واحترام المناظر له، ومن

ذلك مناظرته لهارون الرشيد دفاعاً عن نفسه أمام من وشى به، ومناظراته العديدة مع محمد بن الحسن وهو أستاذ الشافعي.

الإجابة على السؤال الثاني ونصه: ما مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي ؟

بناء على اطلاع الباحث على كثير من الدراسات التي تناولت مقومات بناء الشخصية المسلمة، فقد ارتأى الباحث أن يقسمها إلى ثمان مقومات هي: المقومات العقدية، والمقومات العبادية، والمقومات الأخلاقية، والمقومات العلمية، والمقومات الاجتماعية، والمقومات الجمالية، والمقومات الإبداعية، والمقومات الصحية، وهذا تفصيل لها مما استنبطه الباحث من الفكر التربوي للإمام الشافعي.

أولاً: المقومات العقدية

يقصد الباحث بالمقومات العقدية: "أسس الإيمان الستة التي ينبني عليها دخول الإنسان في الإسلام، وبدونها لا يكون الإنسان مسلماً"، والإيمان هو المرتكز الأول والأساس الذي يقوم عليه الإسلام، وعقيدة التوحيد أي الإيمان بالله تعالى وحده، وتنزيهه عن كل ما يمس تفرده بالألوهية والربوبية.

وتمثل هذه المقومات العقدية القناعات العقلية والقلبية التي تشكل الشخصية الإسلامية، ومن ثم تشكل اتجاهاتها وسلوكها بعد ذلك، و "من تتبع ما روي لنا عن الإمام الشافعي –رضي الله عنه-، وما حكاه لنا الأئمة في كتبهم من أقواله يجد مذهبه رحمه الله تعالى-

مطابقاً لمذهب السلف –رحمهم الله- تمام المطابقة فهو يقول: إن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" (العقيل ، ١٩٩٨،ج١ :١٥٨).

أ- ومن معالم المقومات العقدية التي تشكل الشخصية الإسلامية في فكر الشافعي أنه اعتبر أن القرآن كلام الله، أي صفة من صفاته غير مخلوق، فقال: "القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر" (ابن كثير، ١٩٨٨، ج١٠: ٢١٢)، واعتبر أن الإيمان بالصفات والأسماء مبني على العلم بها فقال الشافعي : "لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الروية والفكر" (ابن جماعة،٣٥:١٩٩٠).

ودعا الشافعي إلى الإيمان بالأسماء والصفات دون تأويل فقال: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله "(عبد الوهاب،٥١٥:٢٠٠٧)

ب- من جهة أخرى حارب الإمام الشافعي الخرافات والاستعانة بالمنجمين؛ الذين يعطلون عقول الناس وطاقاتهم عن العمل اعتماداً على تكهنات كاذبة فقال (الشافعي، ٢٠٠٥: ٣٢):

خَبِّرا عني المُنَجِّمَ أني كافرٌ بالذي قَضتْهُ الكواكبْ
شاهدٌ أنَّ من تكهَّنَ أو نجَّـ ـمَ، زارٍ على المقاديرِ كاذبْ
عالِمٌ أنَّ ما يكونُ وما كانَ قضاءٌ من المُهيمنِ واجبْ

ت- أما قضية الانتماء والولاء والتي تمثل محكاً عملياً لسلامة العقيدة لدى المسلم، لقول الله –عز وجل- " إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (المائدة،٥٥- ٥٦)، فإنها تستلزم من المسلم الاعتقاد بأن الإسلام هو الدين الحق كما قال الشافعي:

ث- "فقد أظهر الله عز وجل دينه الذي بعث به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على الأديان بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الأديان باطل" (الشافعي،١٣٩٣هـ،ج٤: ١٧١).

ويترتب على ذلك وضوح الولاء للإسلام والاعتزاز به كما قال: (الشافعي،٢٠٠٥: ١٣١)

لا تأسَ في الدُّنيا على فائتٍ — وعندك الإسلامُ والعافيه
إن فات أمرٌ كنتَ تسعى له — ففيهما من فائتٍ كافيهْ

واعتبر من مظاهر الولاء طاعة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: "وأن الله افترض طاعة رسول الله وحتم على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقول فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسول الله" (الشافعي،١٩٩٠،ج١: ٢٨)،

كانت هذه بعض المقومات العقدية في فكر الإمام الشافعي؛ التي تساهم في بناء الشخصية الإسلامية؛ سواء في جانبها العقلي والقلبي والسلوكي، وتمثل المرتكز الأول والأساس الذي تقوم عليه بقية المقومات في بناء الشخصية الإسلامية.

ثانياً: المقومات العبادية

تعتبر الشخصية الإسلامية شخصية عملية قائمة على أساس علمي فكري مستمد من العقيدة الإسلامية، ومن هنا تأتي العبادة كبرهان على الجانب العملي للعقيدة، حيث أن مفهوم العبادة كما يقول الإمام ابن تيمية " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة" (ابن تيمية،١٩٥٨: ٣)، أي أنها منهاج حياة كامل في ظل الإسلام، يتضمن الحياة الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وهذا ما يؤكده "سيد قطب" حين يقول: " ..يتحقق معنى العبادة، ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضا بقدر الله، وكلها عبادة، وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها" (قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٣٨٧).

وعندما نتتبع مفهوم العبادة في الفكر التربوي للإمام الشافعي نجد المفهوم الشامل للعبادة كما سبق إيضاحه:

أ- فهو يربط بين العبادة والمشاعر الداخلية فيعتبر أن العبادة لابد أن تتم بين الرجاء والخوف، كما قال تعالى: " وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (الأنبياء،٩٠)، وقوله: " وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (الأعراف،٥٦) ، وفي ذلك يقول الشافعي (الشافعي،٢٠٠٥: ١٠٢):

خَــفِ اللهَ وارجــوه لكــل عظيمــةٍ ولا تطع النفسَ اللجوجَ فتندما
وكن بين هاتين من الخوفِ والرجا وأبشر بعفو الله إن كنتَ مُسلِما

ب- كذلك نجد الشافعي يربط بين الحب القلبي لله والطاعة العملية بالعبادة والتزام المنهج الإسلامي في الحياة، ويقول في ذلك (الشافعي،٢٠٠٥: ٧٨):

تَعْصِي الإله وَأنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

ت-من جهة أخرى ينبه الشافعي إلى صور من العبادات التي تغذي الروح، وتمدها بالطاقة الحيوية لتمارس الشخصية الإسلامية دورها الإيجابي في الحياة، فنراه يعظم من قيمة الدعاء خاصة إذا صدر من إنسان مظلوم في جوف الليل فيقول (الشافعي، ٢٠٠٥: ١٧):

أتَهْــزَأ بِالــدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيــهِ وَمَا تَدْرِي بِما صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيلِ لا تُخْطِي وَلَكِنْ لها أمدُ وللأمدِ انقضاءُ

ث- ومن هنا يدعو المسلم إلى عدم الغفلة عن قيام الليل، ومد أكف الضراعة إلى الله، لعله ينجو من النار في الآخرة وعذاب الله في الدنيا، وفي هذا يقول (الشافعي، ٢٠٠٥: ٥٥)

يا راقدَ الليلِ مسروراً بأولِه إن الحوادثَ قد يطرقْنَ أسْحارا
كم قد أبادَتْ صروفُ الدهرِ مِنْ ملكٍ قد كان في الدهر نفّاعاً وضرّارا
إن كنت تبْغِي جِنان الخُلد تسكنُها فينبغــي لــكَ ألا تــأمنَ النّــارا

ج-وعلى صعيد التعامل مع الدنيا فهو يدعو المسلم إلى الوسطية في العلاقة بالدنيا، فرغم دعوته للزهد في الدنيا، بمعنى أن تكون الدنيا في جيبك لا في قلبك، وأنها وسيلة للبلوغ إلى الآخرة، وسفينة توصل إلى رضوان الله، فهو في نفس الوقت يطالب المسلم بالاجتهاد في العمل حتى بلوغ الرئاسة بشرط أن يتزود لها بالعبادة حتى لا تفتنه عن الهدف الأسمى وهو رضوان الله، فيقول في الزهد في الدنيا (الشافعي، ٢٠٠٥: ١١١-١١٢):

إنَّ للهِ عِبَـــاداً فُطَنَـــا ... تَرَكُـوا الـدُّنْيَا وَخَـافُوا الفِتَنَـا
نظـروا فيهـا فلمـا علمـوا ... أنهـا ليسـت لحـيٍّ وطنـا
جعَـلُوهَا لُجَّـةً وَاتَّخَـذوا ... صالحَ الأعمالِ فيها سفنا

وهو يرى أن الزهد في الدنيا لا يتعارض مع الخوض فيها والتعامل معها وصلاً إلى قمتها وهي الرئاسة، فيقول: "تعبد قبل أن تَرَأس، فإنك إن رأست لم تقدر أن تتعبد" (النووي، د.ت، ج١: ٥٤).

وبهذا يكتمل المفهوم الشمولي للعبادة في فكر الشافعي، ليرسم صورة متكاملة للشخصية الإسلامية، التي يجب أن تجمع في تربيتها بين الوجدان القلبي والعبادة العملية الروحية، والتعامل مع الدنيا بين الزهد والايجابية بأعلى مستوياتها.

ثالثاً: المقومات الأخلاقية

تمثل المقومات الأخلاقية مجموعة الضوابط التي تضبط سلوك المسلم في تعامله مع الآخرين حسب دستور الأخلاق في الإسلام،

وتتميز هذه الأخلاق بثباتها في زمن الحرب والسلم، داخل الأمة الإسلامية، وفي علاقاتها بالأمم الأخرى، كذلك تتميز بأنها تمثل ضابطاً ذاتياً يدفع المسلم إلى التمسك بهذه الأخلاق في السر والعلن، مما يدعم السلم والأمن المجتمعي، ويساهم في صناعة المجتمع النظيف المتماسك القوي.

وعند التأمل في تراث الإمام الشافعي التربوي؛ نجد فيه مساحة واسعة من الحديث عن مكارم الأخلاق، خاصة في تراثه الشعري، حيث لم يدع –في الغالب- خلقاً إلا وحث عليه ورغب فيه، ببالغ الكلام وفصيح البيان، واعتبر أن الأخلاق هي طريق الكمال البشري في هذه الدنيا، مما يجعل لصاحبه القبول عند الله وعند الناس، فقال: " لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع : بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرّزانة " (البيهقي،١٩٧٠ ،ج١٨٩:٢)، كذلك اعتبر أن الأخلاق طريق النجاح في الحياة، وتحقيق أسمى الأهداف وصولاً إلى الحكم والرئاسة فقال: "آلات الرياسة خمس صدق اللهجة وكتمان السر والوفاء بالعهد وابتداء النصيحة وآداء الأمانة". (الشافعي،١٩٩٥، ج٥١: ٤١٣)

وعند تحليل مجموعة الأخلاق التي تناولها أدب الشافعي، نجد أنها تنقسم إلى مجموعتين من الأخلاق، مجموعة ما يمكن أن نسميه بأخلاق التحكم والانضباط، وهي مجموعة الأخلاق التي تمنع صاحبها من الاعتداء على الآخرين، أو الرد على عدوانهم، ومن أمثلتها: (الصبر، الصمت، الكتمان، العفة، حفظ الجوارح، الإعراض عن الجاهلين).

أما المجموعة الثانية فهي مجموعة أخلاق العطاء وخدمة الآخرين، ومن أمثلتها: (نفع الآخرين، الرفق والتأني، المروءة، السخاء والجود).

١-مجموعة أخلاق التحكم والانضباط: ومن الأمثلة على ذلك:

أ- الصبر جُنَّة: فالصبر عند الشافعي جنة ووقاية من الوقوع في الجرائم، وحلاً بسيطاً لكثير من المشكلات الاجتماعية، وفي هذا يقول (الشافعي ١٢٧:٢٠٠٥):

وَاخْتَر لِنَفْسِكَ حَظّهَا   واصبر فإنَّ الصبرَ جنَّه

ب- الصمت منجاة: يمثل الصمت خط رجعة للعاقل من الوقوع في الخطأ؛ خاصة إذا لم يستبن الحق في مسألة يجري النقاش حولها، أو كان قول الحق سيجر إلى منكر أكبر، أو ضرر شخصي بصاحبه، ومن هنا أوصى الشافعي شاباً من أصحابه فقال له: "الزم الصمت إلى أن يلزمك التكلم، فإنما أكثر من يندم إنما يندم إذا هو نطق، وقل من يندم إذا سكت واعلم بأن الرجوع عن الصمت إلى الكلام؛ أحسن من الرجوع عن الكلام إلى الصمت" (الشافعي،١٩٩٥، ج٥١: ٤١٢)

ت- الكتمان جوهر : ويعني الاحتفاظ بالأسرار وعدم افشائها للآخرين، لأن من شأن ذلك التسبب في أضرار بالغة بالمعنيين بهذه الأسرار، ومن الكتمان كذلك أن يستر المرء حاله عن الناس ولا يظهر مواطن ضعفه لهم أوقات الفقر والغضب والشدة، وفي هذا يقول الشافعي: " جوهر المرء في ثلاث : كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غني ، وكتمان الغضب حتى يظن الناس

أنك راضٍ، وكتمان الشدة حتى يظن الناس أنك متنعم " (البيهقي ، ١٩٧٠،ج٢: ١٨٨).

وحين يفشي المرء سره للآخرين فلا يلوم إذا أفشى الآخرون سره لباقي الناس ومنهم أعداؤه الذين يتربصون به الدوائر، وما يترتب على ذلك من أذية له وإضرار بمصالحه، ولذا قال (الشافعي،٢٠٠٥: ٨٤):

إذا المرءُ أفشى سرَّهُ بلسانهِ وَلاَمَ عَليهِ غَيْرَهُ فهو أحْمَق
إذا ضاقَ المرءِ عن سرِّ نفسهِ فصدرُ الذي يستودعُ السرَّ أضيق

ث- العفة : وهي الترفع عن الوقوع في الحرام ومخارم المروءة كالتعفف عن أموال الناس وحقوقهم، وارتكاب الزنا وانتهاك الأعراض، والتساهل في تدنيس الشرف، وتعتبر العفة أصلاً لكثير من الأخلاق الأخرى، فقد ذكر ابن مسكويه اثنا عشر خلقاً تندرج تحت العفة وهي :"الحياء. الدعة. الصبر. السخاء. الحرية. القناعة. الدماثة. الإنتظام. حسن الهدى. المسالمة. الوقار. الورع" (ابن مسكويه، ١٩٨٥: ١٧) .

وللعفة قانون وسنة ربانية تقول "اعمل ما شئت كما تدين تدان" (رواه البيهقي،٢٧٧/٢ رقم ٧١٠)، فالعفيف سيحفظه الله في أهله وماله، والمتطاول على أعراض الناس وحقوقهم سيرتد إليه ذلك في أهله وماله، وفي ذلك يقول (الشافعي،٣٢:٢٠٠٥)

عفّوا تعِفُّ نِسَاؤُكُمْ فِي المَحْرَمِ وتجنبوا مالا يليقُ بمسلمِ
إنَّ الزنا دينٌ فإن أقرضتهُ كَانَ الزِّنَا مِنْ أهلِ بَيْتِك فَاعْلَمِ

ج- حفظ الجوارح: "وهذه الجوارح السبعة هي : العين، والأذن، والفم، واللسان، والفرج، واليد، والرجل هي مركب العطب والنجاة، فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها، فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر" (السلمان،١٤٢٤هـ:١٩٣).

ويأتي على رأس هذه الجوارح اللسان، الذي يمثل الناطق الإعلامي عن الشخصية، والتعبير الحقيقي عن مكنوناتها، ومن هنا يولي الشافعي أهمية لحفظ اللسان، فيقول:(الشافعي ٢٠٠٥:١١٤)

إذا رمتَ أن تحيا سليماً منَ الرَّدى وَدِيُنكَ مَوفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ
فَلاَ يَنْطقنْ مِنْكَ اللسَانُ بِسوأةٍ فَكلُّكَ سَوءاتٌ وَلِلنَّـاسِ أعْـينُ
وَعَاشِرْ بمَعْرُوفٍ، وَسَامِحْ مَنِ اعتَدَى ودافعُ ولكن بالتي هي أحسنُ

ح-الإعراض عن الجاهلين: وهو من الأخلاق الرفيعة التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية، حيث يمثل منهجاً في التعامل مع الجاهلين سواء كانوا من الكافرين المعاندين الذين لايقبلون برهاناً ولا منطقاً علمياً، بل يحتكمون إلى عادات آبائهم، و ما ورثوه من ثقافات وخرافات، أو كان التعامل مع من ينتسب إلى الإسلام أسماً، وتأخذه العزة بالإثم، ولا يقبل الحق بل يتمسك بما ورثه وما يتوافق مع مصلحته، وفي تلك الحالات أمرنا ربنا أن نتعامل معهم حسب الآية الكريمة "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (الأعراف:١٩٩).

ومما قاله العلماء: " هذه الآية من ثلاث كلمات، قد تضمنت قواعد الشريعة المأمورات والمنهيات، حتى لم يبق فيها حسنة إلا أوضحتها، ولا فضيلة إلا شرحتها، ولا أكرومة إلا افتتحتها، وأخذت الكلمات الثلاث أقسام الإسلام الثلاثة" (ابن العربي، ٢٠٠٣،ج٢: ٣٦٣).

ولقد فهم الإمام الشافعي أهمية الإعراض عن الجاهلين، واعتبر أن في هذا الخلق حفاظاً على الذات من الهبوط إلى مستوى الجاهلين، لأنهم لا يستحقون مجرد الرد عليهم، وفي هذا يقول (الشافعي،٢٠٠٥: ٣٢)

قل بما شئتَ في مسبةِ عِرضي فسكوتي عنِ اللئيمِ جـوابْ

مـا أنـا عـادمُ الجـوابِ ولـكنْ ما من الأُسدِ أن تجيبَ الكِلابْ

كانت هذه مجموعة أخلاق التحكم والانضباط، التي تكسب الشخصية المسلمة الجدية والقدرة على التحكم في المشاعر والسلوكيات وتوجيهها حسب أوامر الشرع والعقل؛ لا حسب العاطفة والهوى المدمر.

٢. أما المجموعة الثانية فهي مجموعة أخلاق العطاء وخدمة الآخرين، والتي تكسب الشخصية المسلمة الإيجابية، والقدرة على التأثير في الواقع، وتجسيد مفاهيم الإسلام عملياً كدين جاء رحمة للعالمين، ومن هذه الأخلاق:

أ- السخاء والجود: "قال الإمام أحمد : فثبت بجميع ما ذكرناه أن الجود من مكارم الأخلاق، و البخل من أراذلها، و ليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء، و لا البخيل الذي يمنع في

موضع المنع، لكن الجواد من يعطي في موضع العطاء، و البخيل الذي يمنع في موضع العطاء، فكل من استفاد بما يعطي أجراً أو حمداً فهو الجواد، و من استحق بالبخل ذما أو عقابا فهو البخيل" (البيهقي،١٤١٠هـ،ج١٣: ٢٧٨).

واعتبر الشافعي أن السخاء والجود غطاء لكل العيوب، لأن الشخصية التي تتمتع بهذا الخلق يصعب عليها أن تهبط إلى سفاسف الأخلاق كالكذب والزنا والظلم، لأن النفس السخية نفس طاهرة نظيفة، ما دام أنها تحررت من رق المال، وفي هذا يقول (الشافعي،٢٠٠٥: ١٧)

وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا وسَركَ أنْ يَكُونَ لَها غِطَاءُ

تَستَّرْ بِالسَّخَاء فَكُلُّ عَيْب يغطيه كما قيلَ السَّخاءُ

ب- المروءة: والمراد بالمروءة "التنزه عن بعض الخسائس والنقائص التي خلاف مقتضى الهمة والمروءة مثل بعض المباحات الدنيئة كالأكل والشرب في السوق والبول في الطريق وأمثال ذلك" (الدهلوي،١٩٨٦ :٦٢)، ويحدد الشافعي أركانها بقوله: " المروءة أربعة أركان : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع والشكر " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٨٨)، ويجمل معناها بقوله: " المروءة عفة الجوارح عما لا يعنيها " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٣٤).

ولقد جعل الشافعي من نفسه قدوة في خلق المروءة حين قال: " والله الذي لا إله إلا هو لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص من

مروءتي ما شربته، ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٨٧).

الرفق والتأني: وهو خلق عظيم يكسب المؤمن الحكمة في التعامل مع الأمور، والتفكير قبل التنفيذ، والتروي قبل اتخاذ القرار، والرحمة بالناس، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -□عليه وسلم- « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » (رواه أبو داود ٤/ ٤٠٣: ٤٨١١) ، وهذا ما ربى عليه الإمام الشافعي ابنه الذي حدث عن ذلك فقال: "رآني أبي محمد بن إدريس وأنا أعجل في بعض الأمر فقال : يا بني، رفقاً رفقاً؛ فإن العجلة تنقص الأعمال، وبالرفقة تدرك الآمال. " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٨٩).

نفع الآخرين: وهو جماع أخلاق العطاء كلها، لأن نفع الآخرين يمتد ليشمل كل مناحي الحياة، سواء في أمور دينهم ودنياهم، وهذا الخلق يربي صاحبه على نسيان الذات من أجل الآخرين، ومما قاله الشافعي في ذلك: (الشافعي، ٢٠٠٥: ٣٢)

ولو أنّني أسعى لنفعي وجدتني كثيرَ التّواني للذي أنا طالبه
وَلكِنَّني أَسْعَى لأَنْفَعَ صَاحِبي وعارٌ على الشَّبعان إن جاعَ صاحبه

ت- القناعة: وهي الرضا بما قدره الله من الرزق، وعدم الجزع على فواته، والنظر إلى ما في أيدي الآخرين، وبهذا الخلق يكتسب المسلم الطمأنينة والرضا والأمن النفسي، وهذا لا يعني الجلوس عن السعي لطلب المزيد بل يعني السعي المطمئن الواثق، وفي هذا يقول الشافعي: (الشافعي، ٢٠٠٥: ٧٤)

عزيزُ النفسِ من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوقٍ قِنـاعه
أفادتني التجاربُ كلَّ عزٍّ وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة؟!

رابعاً: المقومات الاجتماعية

المقومات الاجتماعية: هي الركائز والأسس التي تلزم الشخصية المسلمة في تعاملها مع الناس خلال الحياة اليومية في المجتمع، وتنطلق جميع هذه المقومات من قاعدة أساسية قررها الشرع الحنيف وهي قول الله تعالى " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " (البقرة،٨٣) ، وقول النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ): لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ ، وَحُسْنُ خُلُقٍ.(ابن أبي شيبة ٥ /٢١٢)

وخلال البحث في الأدب التربوي للإمام الشافعي؛ وجد الباحث مجموعة كبيرة من الأقوال والأشعار التي ترسم منهجاً قويماً في التعامل مع الناس بكل أصنافهم والوانهم، هذا التعامل الذي يعتبر شديداً على النفس في كثير من الأحيان كما قال الشافعي: "سياسة الناس أشد من سياسة الدواب" (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٨٧)، ونقتطف من هذه الحديقة الغناء هذه الباقة من درر الشافعي التربوية:

أ- **آداب الصحبة:** لا يستغني الإنسان عن أن يكون له أصحاب وأصدقاء يأنس بوجودهم، ويودعهم أسراره، ويستعين بهم في حل مشاكله، ومواجهة التحديات، كما قال الشافعي: "" ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم " (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٥)، ولكن من هو الصديق الذي يختاره المسلم؟ يجيب

عن ذلك الشافعي بأن الصديق هو الذي يقف بجانبك في الشدائد، وإلا فهو والعدو سواء فيقول (الشافعي، ٢٠٠٥: ٦٨-٦٩):

صديق ليس ينفع يوم بـؤس　　قريب من عدو في القيـاس
وما يبقى الصديق بكل عصر　　ولا الإخــوان إلا للتـآسـي

و " من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً " .(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٦).

أما الأصل في الصداقة فهو الابتعاد عن التكلف والتصنع، بل تكون علاقة بسيطة طبيعية، كما قال الشافعي: " ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته "(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٤)، والصديق هو الذي يقيل عثرة أخيه، ويستر عيبه كما قال: " من صدق في أخوة أخيه قَبِل عِلَله، وسد خلله، وعفا عن زَلَلِهِ. (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٤)

ومن أجل أن تستمر الصداقة على خير وجه فلا بد من التناصح الحكيم الذي يهدف إلى الارتقاء وليس الانتقاد، لذا لا بد من السرية في النصح؛ كما قال الشافعي: " من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٨)

ومن لوازم النصيحة الحكيمة حفظ الأسرار وعدم إفشائها حتى لا تقع في يد الأعداء فيشمتون بصاحبها، مما يوغر صدره على صديقه، وحينها لا يلومن المفشي إلا نفسه إذا ما خسر صديقه؛ كما قال الشافعي : " ما أفشيت إلى أحد سراً فأفشاه فلمته ، لأني كنت أضيق صدراً منه". (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢٠٤)

ب- **إنزال الناس منازلهم:** رسم الإمام الشافعي منهجاً وسطياً متوازناً في التعامل مع فئات الناس المختلفة، فلكل فئة أسلوب خاص يجب التعامل به، وإلا كان التعامل في غير محله، كما قال الشافعي: " ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدري عنده بمقدار ما أكرمته به "(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٠)، وقال أيضاً: "عاشر كرام الناس تعش كريماً، ولا تعاشر اللئام فتحتسب إلى اللؤم" (الرازي،د.ت:١٢٢)، واعتبر أن إعطاء الناس غير قيمتهم نوع من الظلم فقال: "أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه"(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٣)، بل واعتبر ذلك انحطاطاً في القيم سيما إذا ترتب عليه التنكر للأصحاب فقال: "السفلة هو من يكون إكرامه لمخالفيه أكثر من إكرامه لأهل مذهبه، وليس ذلك إلا لقلة فضله وعلمه، يريد أن يستكثر بهم ومتى يوالي العدو؟" (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٥).

ت- **خدمة الآخرين:** من المقومات الاجتماعية الهامة، أن يبادر المسلم لنفع الآخرين وتقديم الخدمة لهم؛ بتعليم جاهلهم، ودعوة ضالهم، وإطعام جائعهم، وكفالة يتيمهم، ونصرة مظلومهم، وقد ورد في الحديث الشريف: "خير الناس أنفعهم للناس" (القضاعي،١٩٨٦، ج٢: ٢٢٣) وفي ذلك يقول (الشافعي، ٢٠٠٥ : ٣٤)

وأفضلُ الناسِ ما بينَ الورى رَجُلٌ   تُقضَى على يدِهِ للناسِ حاجاتُ
قد ماتَ قومٌ وما ماتت مكارمهم   وعاشَ قومٌ وهم في الناسِ أمواتُ

ث-**صفاء القلب:** ما دام أن الناس ألوان مختلفة، فلا بد أن يكون بينهم من يثير المشكلات، ويسبب الآلام والعداوات، وهنا لا بد من إصلاح ذات البين كما قال الشافعي: " وأمر بالإصلاح بينهم فحق على كل أحد دعاء المؤمنين إذا افترقوا وأرادوا القتال أن لا يقاتلوا حتى يدعوا إلى الصلح" (الشافعي،١٣٩٣هـ،ج٤: ٢١٤)، وكذلك يجب أن يتحلى المسلم بأخلاق العفو وترك الحقد، كما قال تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (آل عمران،١٣٤) ، وفي هذا يقول (الشافعي، ٢٠٠٥ : ٣٦):

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أحْقِدْ عَلَى أحَدٍ ... أرحتُ نفسي من همَّ العداواتِ
إنِّي أُحَيي عَدُوِّي عنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لأدفعَ الشَّرَّ عني بالتحياتِ
وأُظْهِرُ الْبِشرَ لِلإِنْسَانِ أُبْغِضهُ ... كما إنْ قـدْ حَشى قَلْبي مَحَبَّـاتِ

كذلك على المسلم أن يقبل اعتذار الآخرين، إن جاءوا يطلبون الصفح والعفو، كما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "من اعتذر إليه فلم يقبل لم يرد علي الحوض" (الطبراني١/٣٠٦: ١٠٢٩) ، وقال: (الشافعي،٢٠٠٥: ٥٤)

اقبل معاذيرَ من يأتيكَ معتذراً ... إنْ برَّ عندكَ فيما قال أو فجرا
لقد أطاعكَ منْ يُرضيكَ ظاهرُه ... وقد أجلَّكَ من يعصيـكَ مستترا

ج-**حب الأوطان:** لابد للمرء من وطن يعيش فيه، ومجتمع ينتمي إليه، حيث نشأ وترعرع في صغره، ويعتبر حب الأوطان غريزة فطرية في كل إنسان سوي، وفراقها أشد العقوبات كما قال إبراهيم بن أدهم: «ما قاسيت فيما تركت شيئا أشد علي من مفارقة

الأوطان» (الأصبهاني،١٩٧٤،ج٧:٣٨٠) وقال (الشافعي، ٢٠٠٥: ١٢٠) في شوقه لأرض غزة حيث ولد:

وإني لمشتاقٌ إلى أرضِ غزَّةَ وإنْ خانني بعد التفرقِ كِتماني
سقى اللهُ أرضاً لو ظفرتُ بتربها كحلتُ به من شدَّةِ الشوقِ أجفاني

ومع هذا الحب الفطري للأوطان، إلا أن المسلم يمكن أن يفارقها إذا حل فيها الظلم، ولم يستطع أن يقاومه، كما قال (الشافعي، ٢٠٠٥ : ٨٧):

ارحل بنفسِك من أرضٍ تضامُ بها ولا تكن من فراقِ الأهلِ في حرقِ
من ذَلَّ بين أهاليه ببلدته فالاغترابُ له من أحسن الخلقِ
والعنبر الخام روث في مواطنه وفي التغرب محمولُ على العنق

خامساً: المقومات العلمية

تمثل المقومات العلمية العين المبصرة للشخصية الإسلامية، لأنها تزود صاحبها بالرؤية الواضحة، والنهج السديد، وتهديه إلى العمل الصالح النافع، الذي تقوم على أسسه الحضارة والمدنية الفاضلة.

وعند التأمل في تراث الشافعي نجد مساحة واسعة للحديث عن المقومات العلمية بجميع جوانبها، فقد تحدث عن العقل كوعاء للعلم، وأفاض في الحديث عن طلب العلم وما يتصل بذلك من حفظه وأدواته وتدوينه وانتقائه والعلوم المطلوبة ودور العلم في الحياة ومكابدة الأعداء، وأخيراً تناول منهج البحث العلمي بصورة متكاملة ومتناسقة، وهذا بيان لذلك:

١-العقل فضله ودوره:

يرى الإمام الشافعي أن العقل جوهرة عظيمة، ونعمة كبيرة من عند الله، على المسلم أن يحافظ عليها من كل ما يلوثها ويعطل مهمتها، واعتبر أن الدال على العقل هو الكلام الصادر عن صاحبه، لذا لابد أن يكون كلاماً يشرف العقل وصاحبه، وعبر الشافعي عن ذلك بقوله: "الكلام يقظة العقل، والسكوت نومه، فانظر كيف مراعاتك له في نومه ويقظته" (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٨٦).

واعتبر كذلك أن العقل مهما تطاول في علمه يبقى قاصراً فقال:" إن للعقل حدا ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٨٧)، وأن مهمة العقل الأساسية هي ضبط الشخصية والسلوك، لتترفع عن كل عيب فقال: " العاقل من عَقَلَه عقْله عن كل مذموم " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٨٧)، ولذلك لابد للعاقل من التغافل والعفو عن هفوات الآخرين، فقال: " الكيس العاقل هو الفطن المتغافل " (البيهقي، ١٩٧٠، ج٢: ١٩٨).

من جانب آخر بيَّن طرق تنمية العقل وتغذيته من خلال توظيف الجوارح في طلب العلم، وصفاء القلب وتطبيق العلم فقال: " من سمع بإذنه صار حاكياً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً" . (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠: ١٩٧)

٢- فضل العلم:

حث الإمام الشافعي المسلم على طلب العلم ورغب فيه، حيث اعتبر أن طلبه دليل على وجود الخير في صاحبه فقال:" من لا

يحب العلم لا خير فيه ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة " (العسقلاني،١٩٨٦: ١٣٦)، بل واعتبر أن " طلب العلم أفضل من صلاة النافلة " (العسقلاني،١٩٨٦: ١٣٨)، لأن العلم هو الأساس الذي تقوم عليه العبادات وشئون الدنيا والاخرة "، وأن الجاهل هو إنسان ميت، لا قيمة له بين الأحياء فقال (الشافعي، ٢٠٠٥: ٣٧):

ومن فاتـهُ التَّعليمُ وقتَ شبابهِ فكبِّر عليه أربعاً لوفاته إذا
وَذَاتُ الْفَتَى واللَّهِ بالْعِلْمِ وَالتُّقَى لم يكونـا لا اعتبـار لذاتـهِ

كذلك يمثل العلم سلاحاً في مواجهة الأعداء وإحباط مكرهم، وإيقاع الهزيمة بهم، وفي ذلك يقول (الشافعي،٢٠٠٥ :١٠٤)

إذا شئتَ أن تلقى عدوَّكَ راغماً وتقتلهُ حزناً وتحرقهُ همَّا
فَسَامِ العُلا وازددْ من العلمِ إنَّهُ من ازدادَ علماً زادَ حاسدُه غمَّا

٣- المنهج العلمي لدى الشافعي:

لقد كان للإمام الشافعي منهجاً علمياً يسير عليه في طلبه للعلم، وتعامله مع العلم الذي يحصل عليه من خلال الانتقاء والنقد البناء، كذلك كان له منهجه في التعامل مع المشكلات وطريقة حلها، والتزم بآداب المناظرة مع العلماء وغيرهم من العوام والجهلة، وكيفية الموازنة بين الأمور وترتيب الأولويات، وكانت غاية هذا المنهج العلمي في كل الأحوال هي الوصول إلى الحق والحقيقة ولو كان من لسان عدوه، ومن معالم هذا المنهج ما يلي:

أ- البحث عن الحقيقة والحق: فهي غاية البحث العلمي عند الشافعي، وليس الفخر والمباهاة ومماراة العلماء، فللحق قوة وللحقيقة تأثير يقود إلى الهداية وبلوغ الغاية، وفي هذا يقول

الشافعي : "إذا وجدتم لي مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي فاعلموا أن مذهبي ذلك الخبر" (الشهرستاني،١٤٠٤هـ،ج١: ٢٠٥)، وقال شعراً (الشافعي،٢٠٠٥: ٤٧):

متى ما تقَدْ بالباطلِ الحقَّ يأبَهُ وإن قُدتَ، بالحقِّ، الرواسيَ تنقدِ
إذا ما اتيتَ الأمرَ من غيرِ بابهِ ضللتَ، وإن تقصِدْ إلى الباب تَهتدِ

وما دام أن الحق هو الغاية فلا بد من قبوله من أي لسان خرج، وعبر عن ذلك الشافعي بقوله:" إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط.(الذهبي،١٩٩٨،ج١: ٣٦٢)، واعتبر أن قبول الحق هو المعيار في تقييم الرجال فقال: "ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني " "(العسقلاني،١٩٨٦: ١٣٧).

وحماية للحقيقة من الاختلاط بالذات والهوى فقد أوصى ابنه بعدم الرواية عن الأحياء فقال" يا محمد، لا تحدث عن حي؛ فّإن الحي لا يؤمن عليه أن ينسى" (البيهقي،ج٢، ٢١٦:١٩٧٠).

ب- عدم الحكم على ظاهر الأمورِ: ويحتاج الباحث إلى التأمل العميق في حقائق الأمور، وعدم الاكتفاء بظواهرها، لأن الظاهر أحياناً لا يعبر عن الحقيقة، ولذا قال (الشافعي، ٢٠٠٥ :٥٧):

أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ وَتَسْتَقِرُّ بأقْصى قَاعِهِ الدُّرَرُ
وَفِي السَّماءِ نُجُومٌ لا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يُكْسَفُ إلاَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

ت- ترتيب الأولويات: وهي قاعدة عظيمة في البحث العلمي، فحين تتراكم الأمور، ولا يدري الباحث بأيها يبدأ، يرشده الشافعي إلى ضرورة إعادة تصنيف هذه الأمور حسب أهميتها،

ومن ثم البدء بالأهم ثم المهم، وبالعام قبل الخاص، وبالفرض قبل المندوب، وبدفع الضرر قبل جلب المصلحة، وعبر عن ذلك الشافعي بقوله: "إذا كثرت عليك الحوائج فابدأ بأهمها " (البيهقي،ج٢، ٢٠٤:١٩٧٠)، وقال أيضاً في الموازنة بين الأمور: " ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير ولكن العاقل من يختار أخيرهما " (العسقلاني،١٩٨٦: ١٣٧).

ث- حل المشكلات : يعتبر أسلوب حل المشكلات من المهارات العقلية العليا التي تحتاجها الشخصية الإسلامية، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه المشكلات وتعقدت وتنوعت، ولذا يرشد الشافعي إلى ضرورة إمعان النظر والتحليل العقلي للمشكلة من أجل فهمها وجمع المعلومات حولها، ثم طرح الحلول المناسبة، مع استخدام أسلوب القياس على مشاكل مماثلة لاختيار الحل الأنسب، الذي يجلب الخير ويدفع الشر، وقال في ذلك: (الشافعي،٢٠٠٥ :٦٤)

إذا المشكلات تصدين لي ... كشــفت حقائقهـــا بـــالنظر
ولست بإمعة في الرجال ... أسـائل هـذا وذا: مـا الخبـر؟
ولكنني مِذربُ الأصغَرين ... أقيسُ بما قد مضى ما غَبَر [1]
وسبَّاقُ قومي إلى المكرُمات ... غَبَـــــــــــــــــر [1]
وجَلاَّبُ خيرٍ ودفَّاعُ شرْ

ج-ممارسة النقد الذاتي: سبق القول بأن غاية البحث العلمي يجب أن تكون البحث عن الحقيقة، والرضا بالحق، حتى لو كان مناقضاً

[1] المذرب: الحاد، الأصغران: القلب واللسان.

لمصالحنا الخاصة، وكشفاً لعيوبنا وأخطائنا، والباحث عن الحقيقة يعرض نفسه للنقد والتقييم في ضوء معايير الحق، وعبر عن ذلك الشافعي بقوله (الشافعي، ٢٠٠٥ :١١٢)

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا   وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهجُو ذَا الزَّمَانِ بِغيرِ ذَنْبٍ   وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَا
وليسَ الذنبُ يأكلُ لحمَ ذئبٍ   ويأكلُ بعضنا بعضاً عيانا

ح-الالتزام بآداب المناظرة: حين تكون الحقيقة هي بغية المتناظرين والمتحاورين فلماذا الصراخ والاتهام والمكابرة؟ الذي يفسد الحوار ويمنع الوصول إلى الحقيقة، وعبر الشافعي عن ذلك نثراً بقوله: "أحسنُ الاحتجاج ما أشرقت معانيه، وأُحكِمت مبانيه، وابتهجت له قلوبُ سامعيه" (الشافعي،١٩٩٥، ج٥١: ٤٠٦)، وكذلك عبر عنه شعراً بقوله (الشافعي، ٢٠٠٥ :٦٥):

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ   بما اختلف الأوائلُ والأواخر
فَنَاظِرْ مَنْ تُنَاظِرُ في سُكُونٍ   حليماً لا تُلِّحُ ولا تكابر
يُفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِلا امْتِنانٍ   مِنَ النُّكَتِ اللَّطِيفَةِ وَالنَّوَادِرِ
وإياكَ اللَّجوحَ ومنُ يرائي   أني قد غلبتُ ، ومن يفاخر
فَإِنَّ الشرَّ في جَنَبَاتِ هَذَا   يُمنِّي بالتقاطع والتدابر

كانت هذه أهم المقومات العلمية التي دعا إليها الشافعي لبناء الشخصية الإسلامية، والتي تمثلت في ضرورة طلب العلم، واتباع الوسائل الكفيلة بتحصيله، وانتهاج المنهج العلمي في البحث.

سادساً: المقومات الجمالية

يمثل الجمال روح الحياة، الذي يخفف من ثقل المادة وكثافتها، ويهون على المرء ما يلاقيه من مشاق وتحديات، حين ترى عينه منظراً جميلاً، أو تسمع لحناً جذاباً، أو تستشعر حلاوة قلبية من عمل صالح، وخدمة للآخرين، إضافة إلى أن "للفن وظيفة تربوية في ترقية المشاعر والأحاسيس، والجمال الفني يحفظ لنا الكثير من الاثار الفنية كالمساجد والقصور والمدارس والأسوار والقلاع والأواني والعملات والزخارف والقصائد والخطب والأناشيد وغيرها، ويساعد الجمال الفني في التكتل لمواجهة الأعداء عن طريق الخطب الحماسية والأناشيد القوية الأداء" (الزاملي، ٢٠٠٦: ١٧٣-١٧٤).

وعند التأمل في أدب الإمام الشافعي يجد الباحث درراً ثمينة تفيض جمالاً وروعة، وترسم صورة متناسقة للشخصية المسلمة التي تعشق الجمال الحقيقي المتمثل في أبعاده الثلاثة: (الجمال الفكري، والجمال الإيماني، والجمال الفني) والتي تعد ركناً اساسياً في البناء الكلي للمعرفة الإسلامية (قلعة جي،١٩٨٨: ١١٠)، ويمكن أن نتبين نوعين من الجمال حفلت به مأثورات الإمام الشافعي وهي:

أ- الجمال المعنوي: حيث أشاد بقيمة الحرية التي اعتبرها هبة من الله لا يحق لأحد أن ينزعها فقال" إن الله خلقك حراً فكن كما خلقك " (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠: ١٩٧)، وعرف الحرية الحقيقة بأنها الانعتاق من حب الدنيا والتعلق بالقيم المستمدة من مصدر الجمال الأول وهو الله فقال: " الحرية هي الكرم والتقوى، فإذا اجتمعا في شخص فهو حر " (البيهقي،ج٢، ٢٠٠:١٩٧٠)،

وبالمقابل ندد بالذل والعبودية لغير الله واعتبر الرضا بها صورة من صور الكفر فقال:(الشافعي،٢٠٠٥: ٥٣)

همتي همَّةُ الملوكِ ونفس نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلّةَ كُفْرَا

ومن هنا رفض الموازين المقلوبة التي يحتكم الناس لها، والتي تزنهم حسب الماديات كالمال والجاه والقوة والسلطان، فترفع هذا وتخفض ذاك، رغم أن قيمة الإنسان تكمن في دينه وأخلاقه، وفي هذا يقول (الشافعي، ٢٠٠٥: ١٧)

تموتُ الأسدُ في الغابات جوعاً ولحمُ الضَّأنِ تأكلهُ الكلابُ
وَعَبْدٌ قَدْ يَنامُ عَلَى حَرِيرٍ وذو نسبٍ مفارشه التُّرابُ

ب- الجمال الحسي: وضمن نظرته الوسطية والمتوازنة؛ لا يغفل الشافعي الشطر الثاني من الجمال، وهو الجمال الحسي المادي الذي ترتاح له العين، وتطرب له الأذن، فيعتبر أن " ليس في الطيب سرَف"(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠: ٢٠٦)، ويدعو المسلم لكي يلبس أجمل الثياب ما دام أن قلبه عامر بالإيمان، فالزهد الحقيقي هو زهد القلوب وليس الأبدان، فيقول: (الشافعي، ٢٠٠٥: ٥٩):

حسِّن ثيابكَ ما استطعتَ فإنّها زَينُ الرِّجالِ به تُعَزّ و تُكْرَم
ودَعِ التخشُّنَ في الثيابِ تواضعاً فاللهُ يعلمُ ما تُسرُّ و ما تكتمُ
فجديدُ ثوبِكَ لا يضرُّكَ بعدما و تخشى الإلهَ و تتَّقي ما يحرمُ
رَثيثُ ثوبِكَ لا يزيدُكَ رِفعةً عند الالهِ و أنتَ عبدٌ مجرمُ

كذلك يدعو الشافعي المسلم لكي يروح عن نفسه بين أحضان الطبيعة يستمتع بجمالها، ويمرح بين حدائقها الغناء، متخففاً من

الجدية التي تلزم في مواضع أخرى فيقول في ذلك:" الوقار في النزهة سُخف" (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢١٢).

وحفاظاً على استمرار حالة الجمال لدى المسلم يدعو الشافعي إلى عدم إعطاء الآخرين فرصة للطعن في جماله وتنغيص حياته فيقول: " ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه" . (العسقلاني ،١٩٨٦: ١٣٦).

سابعاً: المقومات الإبداعية

الإبداع " هو قدرة الفرد على التفكير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف الغامضة، ومن إعادة صياغة عناصر الخبرة في أنماط جديدة عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من البدائل لإعادة صياغة هذه الخبرة بأساليب متنوعة وملائمة للموقف الذي يواجه الفرد، بحيث تتميز هذه الأنماط الجديدة الناتجة بالحداثة بالنسبة للفرد نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، وهذه القدرة يمكن التدريب عليها وتنميتها" (منسي،٢٠٠٣: ١٧).

لقد كان الإمام الشافعي علماً على رؤوس المبدعين الذين أضافوا للبشرية من العلم ما تزال تنتفع به إلى يومنا هذا، وستبقى تنتفع به إلى قيام الساعة، فهو لم يكن صاحب مذهب فقهي فحسب، بل كان مبدعاً حين جمع بين مدرسة الراي للإمام ابي حنيفة ومدرسة الحديث للإمام مالك، ومزج ذلك كله وصنع منه شيئاً جديداً كان قمة في مجال الفكر العربي الإسلامي، ذلك هو: علم أصول علم الفقه. (المزيدي،٢٠٠٦: ٢٥٨)

ولم يكن الشافعي مبدعاً في ذاته فحسب ولكنه رسم الطريق لتخريج المبدعين، لذا نجد في أدبياته تحديداً لمعالم الطريق إلى الإبداع ومن ذلك:

أ- أنه حث المسلم على أن لا يعيش على التقليد لمن سبقه، بل لا بد أن يضيف جديداً في حياته، ويضع بصمته بين الأنام فقال: (الشافعي، ٢٠٠٥: ٩٥)

ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولا يكن نصيبُك إرثاً قدَّمته الأوائلُ

ب- وبين أن تحقيق ذلك الإبداع لا بد له من كد واجتهاد ومثابرة دون كلل، وأن المعالى لا يصلها المرء إلا على جسر من التعب، وقال في ذلك:(الشافعي،٢٠٠٥: ١٠٠)

بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غيركد أضاع العمر في طلب المحال
تروم العز ثم تنــام ليــلاً يغوص البحر من طلب اللآلي

ت- لكن هذا الجهد والتعب يجب أن يكون في مساره الصحيح، ويتبع الأصول المقررة في كل مجال من مجالات الحياة حتى يحقق الهدف ويصل إلى الغاية، وهذا ما يقرره الشافعي في قواعد كلية حيث يقول: "أصل العلم التثبت وثمرته السلامة وأصل الورع القناعة وثمرته الراحة وأصل الصبر الحزم وثمرته الظفر وأصل العمل التوفيق وثمرته النجاح وغاية كل أمر الصدق" (الشافعي، ١٩٩٥، ج٥١: ٤٠٨)

ث- وذكر أن من طرق تحقيق الإبداع والوصول إلى المعالي؛ السفر والتنقل بين البلاد لاكتساب الخبرات الجديدة، والتعرف

على الثقافات الأخرى مما يمكن المرء على المقارنة وطرح تصورات جديدة لحل مشكلات قائمة ، أو تطوير لإمكانات قائمة، يقول (الشافعي، ٢٠٠٥ : ٢١)

سَأضْرِبُ في طَولِ الْبِلاَدِ وَعَرْضِهَا　　　أنالُ مرادي أو أموتُ غريبا
فـإن تلفت نفسي فلله درُّها　　　وَإنْ سَلِمَتْ كانَ الرُّجوعُ قَرِيباً

ج-ودعا الشافعي إلى عدم الالتفات إلى وساوس المثبطين الذين يحاولون ثني المبدع عن طموحه، وكسر عزيمته، لكنه يجب أن يعتمد بعد الله على نفسه وقدراته فقال: (الشافعي٢٠٠٥ :٩١)

ماحك جلدك مثل ظفرك　　　فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجةٍ　　　فاقصد لمعترفٍ بقدرك

ح-كذلك على المسلم المبدع أن لا يضيع وقته فيما لا يفيد، بل يغتنم كل فرصة تلوح له من أجل مزيد من التقدم والنجاح فقال: (الشافعي، ٢٠٠٥: ١١٣)

إِذا هَبَّتْ رِياحُكَ فَاغْتَنِمْها　　　فَعُقْبَى كُلِّ خافِقَةٍ سُكُوْنُ
ولا تغفل عن الإحسان فيها　　　فلا تدري السكونُ متى يكونُ

إن الإبداع ليس ترفاً عقلياً، ولا خيالاً مجنحاً، ولا عزلة عن الحياة بين أرفف الكتب ومعامل المختبرات، لكنه اندماج في الحياة ومعايشة لمتطلباتها، وحل لمشكلاتها، لذا لا بد أن يترجم الإبداع على شكل انتاج يستفيد منه صاحبه والناس كذلك، وإلا سيبقى الإبداع حبيساً في عقل صاحبه، مما سيفقده التأثير في الواقع الذي يعيش فيه، ومن هنا قال الشافعي: "إذا ذكر الرجل بغير صناعته

فقد وهص"[1] (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢٠٠)، لأن الصناعة تعني العمل والانتاج والإضافة، وانتفاؤها يعني البطالة والكسل والسلبية.

ثامناً: المقومات الصحية

لابد للشخصية المسلمة بصفتها شخصية متوازنة؛ أن تتمتع بالصحة العالية بجانبيها النفسي والجسمي، تحقيقاً للقوة التي أمر الإسلام بها في قوله تعالى:" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ" (الأنفال:٦٠)، وقول النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير" (رواه مسلم٤: ٢٠٥٢).

ومن هنا دعا الشافعي المسلم لكي يأخذ بأسباب القوة النفسة والجسمية، فبين في جانب الصحة النفسية:

أ- ضرورة أن يحترم الإنسان نفسه ويضعها في مكانها الصحيح، فقال: " من سام نفسه فوق ما يساوى رده الله تعالى إلى قيمته "(البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :١٩٩)، وأشار إلى أنه لن تحصل النفس على قيمتها الحقيقية إلا بالحق، فقال: " من تزين بباطل هتك ستره " (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢٠٠)، وفي نفس الوقت على المسلم أن لا يغتر بما وصل إليه من مكانة وفضل بل يتجاهل ذلك حتى يبقى في دور العطاء، فقال: " أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره ، وأكثر الناس فضلاً من لا يرى فضله " (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢٠١).

---

[1] وهص : كُسر

ب- من جانب أخرى نجد فهماً عميقاً للنفس البشرية بكل تقلباتها، في حالة الغضب والرضا والحزن والسرور، فيقول الشافعي: " من استُغضِب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرضَ فهو شيطان" (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢٠٢)، إضافة إلى أن هذه النفس لا يمكن أن تعيش معزولة عن التأثر والتأثير، وأن التبادل الثقافي بين الأمم حقيقة قائمة ما دام أن هناك احتكاك بينها، كما يقول الشافعي: " ما دخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد منهم من سنة صاحبه ، حتى إن العراقي ليأخذ من سنة الشامي، والشامي يأخذ من سنة العراقي" (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢١٤).

ت- ومن أجل تحلي المسلم بالصحة النفسية، فلا بد أن يرتفع عن المعايير المادية التي تقيس السعادة بالمال أو الجاه أو المنصب، فالغنى الحقيقي هو غنى النفس كما قال (الشافعي، ٢٠٠٥: ١١٢-١١٣)

غنيٍّ بلا مالٍ عن النَّاس كلهم　　　وليس الغنى إلا عن الشيءِ لابه

ث- كذلك لا بد من حماية النفس من الهموم التي تعتورها بسبب القلق على الرزق والأجل وما سيحدث في المستقبل فقال (الشافعي، ٢٠٠٥: ٢٩)

سَـهِرَتْ أَعـينٌ، وَنَامَـتْ عُيـونُ　　　فـي أمـورٍ تكـونُ أو لا تكـونُ
فَادْرَأ الهمَّ مَا استَطَعْتَ عَنْ النَّفْـ　　　ـس فحمـلا نـكَ الهمـومَ جنـونُ
إن رَّباًّ كفـاكَ بالأمسِ مـا كـا　　　نَ سَيَكْفِيكَ في غَدٍ مَـا يَكُـونُ

وبدلاً من هذا القلق الذي يعطل المسلم عن دوره في الحياة؛ فلا بد من الأمل والتفاؤل، وعدم اليأس والتراجع فقال: (الشافعي، ٢٠٠٥: ٣٠):

سيُفتحُ بابٌ إذا سُدَّ بابْ نعم، وتهون الأمورُ الصِّعابْ
ويتسعُ الحالُ، من بعد ما تضيقُ المذاهبُ فيها الرِّحابْ
مع الهمِّ يسرانِ هوِّن عليكَ فلا الهمُّ يُجدِي ولا الاكتئَابْ

ج-ومما يفيد النفس ويجدد عزيمتها ويذهب عنها الهم والحزن السفر والتنقل بين البلاد، ففي ذلك فوائد عددها الشافعي بقوله: (الشافعي ،٢٠٠٥: ٣٩)

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ طَلَبِ العُلَا وسافِرْ ففي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ، واكتِسَابُ مَعِيْشَةٍ وَعِلْمٌ ، وآدابٌ، وصُحْبَةُ مَاجِدِ

أما في جانب صحة الجسم وهو آلة النفس لا تعيش إلا به:

أ- فقد نبه الشافعي إلى مهلكات الصحة والبدن المتمثلة في شرب المسكرات وكثرة الجماع والشره في تناول الطعام فقال: (لشافعي،٢٠٠٥: ١٠٩):

ثَلاَثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الأنامِ وداعيةُ الصحيحِ إلى السِّقامِ
دَوامُ مُدَامَةٍ وَدَوَامُ وطءٍ وإدخالُ الطَّعامِ على الطعامِ

ب- كذلك دعا إلى الاهتمام بالنظافة التي هي عنوان الحضارة والرقي، وتبعث في النفس الراحة والابتهاج، فقال : "من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله" (ابن الجوزي،١٩٧٩ ، ج ١: ٤٨٧)

ت- وللحفاظ على الصحة المجتمعية، وقوة النسل للمسلمين، فقد دعا إلى الاغتراب في الزواج، لما في ذلك من تحقيق لمبدأ

التعارف والتواصل بين المسلمين، وتقوية الروابط بينهم فقال: " أيما قوم لم تخرج نساؤهم إلى رجال غيرهم، ورجالهم إلى نساء غيرهم إلا خرج أولادهم حمقى" (البيهقي،ج٢، ١٩٧٠ :٢٠١).

ث- وينصح الشافعي كل إنسان أن يهتم بصحته النفسية والجسمية، ويختار البلد التي يوجد فيها العلماء والأطباء فيقول: "لا ينبغي لأحد أن يسكن بلدة ليس فيها عالم ولا طبيب" (القرطبي،د.ت: ٩٩)، وبهذا يجمع المسلم أسباب الصحة الكاملة ليقوم برسالته في هذه الحياة كما أرادها الله.

وفي نهاية هذا البحث تكتمل صورة الشخصية المسلمة بمقوماتها المختلفة العقدية والعبادية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية والجمالية والإبداعية، كما رآها الباحث في الفكر التربوي للإمام الشافعي–رضي الله عنه- والتي تصنع الشخصية الوسطية المتوازنة الفاعلة، القادرة على حمل رسالة الإسلام إلى العالمين، وضرب المثل الأعلى للشخصية الإنسانية في أبهى صورها وأعظم تجلياتها.

النتائج والتوصيات:

من خلال الدراسة السابقة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١-يعتبر الإمام الشافعي مجدداً تربوياً يمكن الاستفادة من تراثه اليوم لحل مشكلاتنا التربوية.

٢-لتحقيق البيئة التربوية الصالحة لابد من توفر مقومات عديدة منها: تنوع البيئات ، التنوع العلمي، والأخذ عن العلماء ، صفاء المنبع وسلامة الفهم ، القدوة الصالحة.

٣-لا بد من التربية الشاملة للشخصية الإسلامية بمقوماتها الثمانية (المقومات العقدية، والمقومات العبادية، والمقومات الأخلاقية، والمقومات العلمية، والمقومات الاجتماعية، والمقومات الجمالية، والمقومات الإبداعية، والمقومات الصحية).

٤-يعتبر المقوم العقدي الأساس في بناء الشخصية المسلمة، ويجب البدء به عند التربية.

٥-لابد من الالتزام بالعبادات الظاهرة والباطنة لتمتين علاقة المسلم بربه، وتحسين علاقته بالناس.

٦-تمثل الأخلاق الإسلامية دستوراً كاملاً يضبط حياة الفرد والجماعة في كل مناحيها المختلفة.

٧-البناء العقلي للمسلم لدى الشافعي يجب أن يقوم على دعائم المطالعة، تدوين العلم، حفظ العلم، ِالأخذ بالأسباب، الحذر من المعاصي، انتقاء العلم، التواضع، العلم للعمل، أما المنهج العلمي فيتمثل في: البحث عن الحقيقة والحق، عدم الحكم على ظاهر الأمورِ، ترتيب الأولويات، حل المشكلات، النقد الذاتي، وآداب المناظرة.

٨-التربية الاجتماعية لدى الشافعي تقوم على : آداب الصحبة، وإنزال الناس منازلهم، وخدمة الآخرين، وصفاء القلب، وحب الأوطان.

٩-لابد للمسلم الاهتمام بالجمال في بعديه المعنوي والمادي، وأن يكون شامة بين الناس بالمحافظة على النظافة والترتيب.

١٠-على المسلم أن لا يعيش على التقليد لمن سبقه، بل لا بد أن يضيف جديداً في حياته.

التوصيات : يوصي الباحث بما يلي

- اعتماد مقومات الشخصية الإسلامية الواردة في فكر الإمام الشافعي أساساً لمناهج التربية الإسلامية الفلسطينية، لإعداد المسلم القادر على حمل رسالة الدين والوطن.
- بناء مقياس للشخصية الإسلامية قائم على الجوانب الثمانية السابقة للحكم على مدى توفرها في طلبة التعليم العام والعالي، وعمل تغذية راجعة لتدارك النقص ومعالجة الضعف.
- ضرورة التربية الشاملة للشخصية الإسلامية بجوانبها الثمانية في البيت والمدرسة والمسجد وكافة الوسائط التربوية.
- اعتماد مقومات الشخصية الإسلامية لدى الشافعي أساساً لأخلاقيات مهنة التعليم في الجامعات والمدارس.
- إنشاء مدارس وكليات باسم الإمام الشافعي تتبنى منهجه في بناء الشخصية الإيجابية الفاعلة، المؤهلة لتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني والفكر الغربي الوافد.
- إجراء مسابقات بحثية في توظيف تراث الإمام الشافعي لمعالجة قضايانا المعاصرة في مجالاتها المختلفة.

المقترحات:

يقترح الباحث إجراء الدراسات التالية حول الفكر التربوي للإمام الشافعي:

١- التربية الإبداعية في الفكر التربوي للإمام الشافعي.

٢- معالم التربية العلمية في الفكر التربوي للإمام الشافعي.

٣- مقومات التربية الاجتماعية والأخلاقية في الفكر التربوي للإمام الشافعي.

٤- أساليب التربية في الفكر التربوي للإمام الشافعي.

٥- مضامين تربوية في أدب الشافعي.

المراجع

١.ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله، (١٤٠٩هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية

٢. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، العبودية. ط١، مطبعة المدينة، مصر(١٩٥٨).

٣.ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة(٢٠٠١).

٤. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط١، دار السلام (١٩٩٠).

٥. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر،أحكام القرآن. تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (٢٠٠٣)

٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين. دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة(١٩٦٨).

٧.ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية. تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي (١٩٨٨)

٨.ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق في التربية. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان(١٩٨٥)

٩.أبو داود ،سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود. دار الكتاب العربي ،لبنان، بيروت(د.ت).

١٠. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار السعادة ، مصر(١٩٧٤).

١١. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان. تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٠هـ).

١٢. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر(١٩٧٠).
١٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين،السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي. ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد(١٣٤٤ هـ).
١٤. الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري، مقدمة في أصول الحديث. تحقيق : سلمان الحسيني الندوي، ط٢، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان(١٩٨٦).
١٥. الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ. دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٩٩٨).
١٦. الشافعي، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حولها من الأماثل. تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري،(د. ط)، دار الفكر، بيروت(١٩٩٥).
١٧. الشافعي، محمد بن إدريس،الأم. (د. ط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان(١٣٩٣هـ).
١٨. الشافعي، محمد بن إدريس، أحكام القرآن. جمعه الإمام أبو بكر أحمد البيهقي النيسابوري، ط١، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم ،بيروت، لبنان (١٩٩٠).
١٩. الشافعي ، محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي . تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، ط٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان(٢٠٠٥).
٢٠. الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة. تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان(د.ت).
٢١. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (١٤٠٤): الملل والنحل، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ،بيروت .
٢٢. الشيباني، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، الآحاد والمثاني. تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١، دار الراية – الرياض، السعودية (١٩٩١).
٢٣. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط. تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني،(د. ط)، دار الحرمين - القاهرة (١٤١٥هـ).

٢٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين. تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي،(د. ط)، مؤسسة الرسالة ، لبنان، بيروت(١٩٨٤).
٢٥. العسقلاني، ابن حجر، في مناقب الإمام الشافعي توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس. تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان (١٩٨٦)
٢٦. القاسم، عبد المحسن، تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول. ط١،(د.م)(١٤٢٧هـ)
٢٧. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم. تحقيق الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).
٢٨. القضاعي، محمد بن سلامة، مسند الشهاب. تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان (١٩٨٦).
٢٩. النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (د. ط) ، (د.م)، (د.ت).
٣٠. حتحت، عطاف محمود، دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف عليه السلام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة-فلسطين (٢٠٠٩).
٣١. الزاملي، إبراهيم: مقومات الشخصية الإسلامية واساليب بنائها في فكر سيد قطب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين (٢٠٠٦).
٣٢. العسلي، باسمة بسام، بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، رسالة دكتوراه منشورة، دار الفكر، دمشق، سوريا(٢٠٠٠).
٣٣. فلمبان، زينب جمال الدين، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية(١٩٨٧).
٣٤. النمشه، عادل، مقومات الشخصية الدعوية المؤثرة وأساليب التأثير، رسالة ماجستير، جامعة الإيمان، الجمهورية اليمنية(٢٠٠٥).
٣٥. الهمداني، وليد أحمد، منهج التربية الاسلامية في اصلاح القلوب واثره في بناء جوانب الشخصية، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، السعودية(٢٠١١).

٣٦. أبو هين، فضل، تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني المشارك في انتفاضة الأقصى، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الخامس، العدد الثاني، ج١، ص١٣٨. (٢٠٠١)
٣٧. الأشقر، عمر، محاضرات إسلامية هادفة. ط، ١دار النفائس للنشر والتوزيع، (١٩٩٧).
٣٨. الحضرمي ،عبد الله بن محسن، مقومات الشخصية المسلمة. صنعاء، اليمن(د.ت).
٣٩. الخطيب، إبراهيم وعيد، زهدي محمد، تربية الطفل في الإسلام. ط١، الدار العلمية الدولية، دار الثقافة، عمان، الأردن (٢٠٠٢).
٤٠. الدقر، عبد الغني،الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر. ط٦، دار القلم، دمشق، سوريا (١٩٩٦).
٤١. الرشيدي، مقومات بناء الإنسان في الأسرة. مدخل أساسي لتنمية الفرد وتقدم المجتمع(٢٠٠١)
٤٢. زيادة، مصطفى عبد القادر، وآخرون، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره. مكتبة الرشيد، الرياض، السعودية (٢٠٠٢).
٤٣. السلمان، عبد العزيز، مورد الظمآن لدروس الزمان. ط٣٠، (١٤٢٤هـ).
٤٤. شحاتة، حسن والنجار،زينب: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،مصر(٢٠٠٣).
٤٥. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات . تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ، لبنان(٢٠٠٠)
٤٦. عبد الرحمن، عائشة، الشخصية الإسلامية-دراسة قرآنية، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (١٩٨٦)
٤٧. عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض، السعودية (٢٠٠٧).
٤٨. العقيل، محمد بن عبد الوهاب، منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة. ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية(١٩٩٨).

٤٩. عويضة، كامل، علم النفس بين الشخصية والفكر. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٩٩٦).
٥٠. قطب، سيد: في ظلال القرآن. ط١٢، دار الشروق، بيروت، لبنان (١٩٨٦).
٥١. قلعة جي، عبد الفتاح، علم الجمال الإسلامي بحث في المنطلقات. الثقافة الإسلامية، ع٢١، (١٩٨٨)
٥٢. الكيلاني، ماجد عرسان،مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، لبنان (٢٠٠٠).
٥٣. مذكور، على أحمد، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت (١٩٩٠).
٥٤. المزيدي، زهد ، مقدمة في منهج الإبداع رؤية إسلامية، دار الوفاء ،المنصورة، مصر، (١٩٩٢).
٥٥. مقداد، محمد: مناهج البحث العلمي والتحليل الإحصائي في العلوم الإدارية، دار المقداد للطباعة، غزة، فلسطين (٢٠٠٤).
٥٦. منسي، محمود عبد الحليم، الإبداع والموهبة في التعليم العام، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية (٢٠٠٣).

التربية الإسلامية للشباب على ثقافة التغيير

الشباب الفلسطيني نموذجاً

ملخص بحث

التربية الإسلامية للشباب على ثقافة التغيير

الشباب الفلسطيني نموذجاً[1]

هدف البحث إلى وضع رؤية إسلامية لتربية للشباب على ثقافة التغيير، واستخدم الباحث المنهج الوصفي لتحليل خصائص الشباب والتغيير، وكذلك واقع الشباب الفلسطيني -نموذج للدراسة- ، وبعد ذلك طرح الباحث رؤيته التربوية لثقافة التغيير التي يجب تربية الشباب الفلسطيني عليها عبر مراحلها الثلاث، وتوصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها: أن الإسلام رسم أفضل منهج للتربية على ثقافة التغيير، وأن مرحلة الشباب أهم مراحل حياة الإنسان لإحداث التغيير الشامل في المجتمع، وأن الشباب الفلسطيني –رغم قلة الامكانات- قادر على إحداث التغيير والتحرير في المجتمع الفلسطيني، وأوصى الباحث بضرورة استفادة المؤسسات التربوية من مرحلة الشباب، وتمكينهم من عملية التغيير. (١٠٦ كلمة)

الكلمات المفتاحية: التربية- الإسلام - التغيير- الشباب- فلسطين

---

[1] بحث محكم نشر في مجلة دراسات في علوم التربية – جامعة الجزائر ٢ أبو القاسم سعد الله، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٦.

Abstract

Islamic Education for Youth on the Culture of Change Palestinian Youths as a Model

This research aimed to develop an Islamic vision for youth education on the culture of change. The researcher used the descriptive approach to analyze the characteristics of youths and change, in addition to Palestinian youth reality – The model of study-. Then, the researcher presented his educational vision for the culture of change on which the Palestinian youth have to be brought up through its three stages. The researcher reached many results, the most important of which is that: Islam established the best curriculum for education on the culture of change, young adulthood is the most important period in human life to make the comprehensive change in society, and that Palestinian youth – despite the lack of potential- is able to bring about the change and liberation in the Palestinian society. The researcher recommended that educational institutions should benefit from the youth stage and enable them to change. (١٤٦ WORDS)

KEY WORD: Education- Islam- Youth - Change- Palestine.

مقدمة:

يمثل الشباب في كل أمة عمودها الفقري، وقلبها النابض، ويدها القوية التي تبني وتحمي، ومخزون طاقتها المتدفق الذي يملأها حيوية ونشاطاً، وهمزة الوصل التي تربط بين الحاضر والمستقبل، ومن هنا وجبت العناية بهم، والحرص على حسن تربيتهم وإعدادهم.

ويعتبر الشباب وقوداً لحركات التغيير في كل المجتمعات، لما يتمتعون به من حماسة القلب، وذكاء العقل، وحب المغامرة والتجديد، والتطلع دائماً إلى كل جديد، والثورة على التبعية والتقاليد، إلا ما كان ديناً قويماً، أو تراثاً صحيحاً.

ويعتبر الإسلام أن فترة الشباب هي أخصب فترة في حياة الإنسان ، لأنها فترة القوة وتحمل المسئوليات، لذا آتي الله النبوة للشباب كما قال تعالى: " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" (مريم:١٢)، وهم الأقدر على التغيير كما فعل إبراهيم (عليه السلام) في أصنام قومه " قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) سورة الأنبياء.

لذا فالإسلام منهج تغييري فريد، يربي على التغيير الجذري والشامل، ومراعاة الجانب الإنساني، والحفاظ على المبادئ والقيم، مع الاستفادة من امكانات العصر الحديثة، وبهذا يتميز المنهج الإسلامي للتغيير عن غيره من مناهج التغيير البشرية، التي تتجاوز كثيراً مما سبق، فتريق الدماء، وتنتهك المبادئ،

وتهدر كرامة الإنسان. فغاية التغيير في الإسلام هي تحقيق السعادة للبشرية جمعاء ولا يكون ذلك مبرراً له باستخدام الوسائل غير الشريفة ، فالغاية عنده لا تبرر الوسيلة. (الجعب،ن.٢٠٠٩: ٤٩)

ونظراً لما يشهده العصر الحالي من التغيرات المتسارعة في كل مجالات الحياة، كالثورة المعلوماتية، والتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والقفزة الهائلة في نظم الاتصالات وفضائيات الإعلام، وغير ذلك من مظاهر التغير اللامتناهية، مما يسم حياتنا بعدم الثبات والاستقرار، من هنا وجب علينا أن نربي شبابنا التربية المرنة التي تعلمهم كيف يتعلمون لا ماذا يتعلمون؟، تربيهم كيف يتعاملون مع التكنولوجيا الحديثة بقيم الثقافة التليدة، كيف يضعون بصمتهم على الدنيا فيضيفون ويبدعون، بدل أن يكونوا عالة على أمم الغرب يستهلكون.

ويعتبر موضوع الشباب والتغيير من المواضيع المعاصرة التي اهتم لها الباحثون، مع تباين الزوايا التي نظر من خلالها كل باحث، فمنهم من تناول تربية الشباب من منظور إسلامي كدراسة الجمل(٢٠٠٩)

الذي تناولت ملامح الخطاب التربوي من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا الفلسطيني المعاصر، وأوصى الباحث بضرورة التزام الخطاب التربوي المعاصر بالمرجعية الإسلامية ، و الخروج من لغة الخطاب

الحزبي إلى لغة الخطاب التربوي بما يخدم المصالح العامة للمجتمع.

أما الشنقيطي (١٤٢٩هـ): فقد تناول الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم في ضوء التحديات المعاصرة، وتوصل الباحث إلى نتائج أهمها: أن السنة النبوية هي المنهج القويم والأسلوب التربوي الأمثل الذي تربى عليه أصحاب النبي، وأن تنمية القيم الإيمانية لدى الشباب ضرورة لبناء الشخصية المتميزة للمسلم، أما العيد (١٩٩٤): فقد هدفت دراسته إلى بيان المنهج النبوي في التربية الإيمانية للشباب، والاستفادة منه في العصر الحاضر، وأوصى الباحث بتربية الأبناء على العقيدة، والاهتمام بالقرآن والقصص والوصايا الإيمانية، وتحذيرهم من الفتن، والإكثار من العمل الصالح، وفي دراسة أخرى للعيد (٢٠٠٧) تناول الحاجات الدعوية للشباب من خلال عينة من الشباب الجامعي لمعرفة مدى توجهاتهم حول مراعاة الحاجات الدعوية للشباب، وأوصى الباحث بتشجيع الشباب على اكتساب المهارات الجسدية، و توجيه القدرات العقلية، و إتاحة الفرصة للفتى في التعبير عن ذاته، و الثقة بالشباب وتوليتهم بعض المسؤوليات.

أما الدويش (٢٠٠١) فقد هدفت دراسته إلى وضع الإرشادات للمربين لتربية الشباب من خلال الأهداف والوسائل التربوية، والحديث عن خصائص المرحلة والجانب العلمي العقلي، والخلقي السلوكي، والاجتماعي والنفسي للشباب، وفي دراسة ضليمي (١٤١٢ هـ) التي هدفت إلى تحديد الأسس التي يتم تربية الشباب

وفق مبادئها، وبيان الوسائل والأساليب التربوية الإسلامية التي تؤدي إلى إعداد الشباب القادر على حمل أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقه، وتوصل الباحث إلى أن التربية عن طريق التنشئة على التمسك بالعبادة والالتزام بآدابها يعد من أهم الأساليب التربوية الإسلامية ، وأن لأسلوب التوبة من التأثير في تربية الشباب ما ليس لغيره من الأساليب.

وبعض الباحثين أجرى مقارنة بين تربية الشباب في الإسلام والمذاهب الوضعية كدراسة فايد (١٩٨٦) التي هدفت إلى دراسة ثلاثة أنماط لتربية الشباب والمقارنة بينها وهي النمط الرأسمالي الغربي، والنمط الشيوعي الشرقي، والنمط الإسلامي، وتوصل الباحث إلى نتائج عديدة منها: أن التربية الإسلامية تربية معاصرة، قادرة على استيعاب متطلبات العصر في تربية الشباب وتوظيف طاقاتهم.

وفي اتجاه آخر وجد الباحث بعض الدراسات التي تناولت التحديات والمشكلات التي تواجه الشباب، كدراسة علوان (٢٠٠٦):التي تناولت خمس تحديات تواجه الشباب المسلم، وتتمثل في تحديات الشيطان والنفس والهوى، تحديات الغزو الفكري، تحديات الانحلال الخلقي، تحديات الحكومات العلمانية، تحديات التيئيس من العمل الإسلامي، وطرح الكاتب حلولاً لهذه التحديات؛ فبالتقوى نواجه تحديات النفس والشيطان والهوى، وبالعقيدة والفكر الصحيح نواجه الغزو الفكري، وبالعفة والتسامح نواجه الانحلال الخلقي، وبإعطاء التصور الصحيح للإسلام نواجه

الحكومات العلمانية، وبالأمل واستشعار المسئولية نواجه التيئيس من العمل الإسلامي.

أما دراسة شبير (١٩٨٩) فهدفت إلى الوصول إلى تصور عام حول مشكلات الشباب، ومعرفة المنهج الإسلامي في علاجها، واستخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي بطريق العينة، التي طبقت في المجتمع السعودي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج الخاصة بالمشكلات الاجتماعية كقلة إطلاع الآباء على أسرار الأبناء، والنفسية كالمعاناة من كثرة السرحان والنسيان، والاقتصادية كوجود مشكلات اقتصادية لدى شباب العينة، والتعليمية كصعوبة استيعاب بعض المواد الدراسية، ومشكلات شغل وقت الفراغ، أما بالنسبة لتوصيات الباحث فقد توزعت على المشكلات السابقة كاهتمام الأسرة بتربية أبنائها على المنهج الإسلامي، وتهيئة فرص لعمل الشباب، ومراعاة الفروق الفردية في التعليم، وإنشاء الأندية والمؤسسات التي توظف طاقات الشباب.

وتعرض أبو دف و الأغا (٢٠٠١) إلى مشكلة التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في مواجهته، ووضع صيغة تربوية لمواجهة التلوث الثقافي والحد منه ، وتبين من نتائج البحث أن نسبة التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعة قد بلغت ٦٣،١٥٪، وطرح الباحثان صيغة تربوية لمواجهة التلوث الثقافي لدى الشباب الفلسطيني تكونت من: الاهتمام بالبناء العقدي، والعناية بالتربية الخلقية، وترسيخ الهوية الثقافية

الإسلامية، وإكساب الشباب قيمة الاقتداء بدلاً من التقليد، ومهارة التفكير الناقد.

وفي اتجاه ثالث وجد الباحث بعض الدراسات التي تناولت علاقة الشباب بالثقافة والتغيير، كدراسة علام (٢٠٠٣) التي ناقشت مفهوم الثقافة وثقافة الشباب ، وثقافة العولمة، والثقافة العربية بين العالمية والتنوع الثقافي، الثقافة العربية كموروث شعبي يشكل الهوية، رؤى المثقفين العرب حول أوضاع الثقافة العربية لدى الشباب والسيناريوهات. أما دراسة الغالي (١٩٩٣) فقد هدفت إلى التعرف على واقع ممارسة الشباب العربي للثقافة، على اعتبار الأهمية الكبرى التي تحظى بها فئة الشباب كطاقة غير مفعلة في التنمية المجتمعية، وتناولت الدراسة ثلاث محاور هي: محددات الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي، ومظاهر هذه الممارسة، وإجراءاتها، وخرج الباحث بخلاصة مفادها أن ممارسة الشباب العربي للثقافة ممارسة ملتبسة في مضامينها ووظائفها وفي توجهاتها وآفاقها، وعليه فقد طرح عدة إجراءات يمكن ممارستها في ثلاثة أبعاد وهي : عروبة الفكر واللسان، وإعادة النظر في مناهجنا التعليمية وبرامجنا الثقافية حتى تتساوق مضامينها مع مطامح الشباب، تحقيق التزاوج بين الماضي والمستقبل في إطار استمرارية خلاقة.

وأخيراً تناولت دراسة السلوادي (٢٠٠٨) موضوع الثقافة والتغيير في العالمين العربي والإسلامي، تحديات وفرص، والتي هدفت إلى معالجة موضوع الثقافة والتغيير الحضاري في ظل العولمة، ولا يمكن مناقشة العولمة بمعزل عن بعدها الثقافي، وقد

استخدم الباحث منهجاً قائماً على الاستقراء والتحليل، وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها ضرورة العمل على وضع استراتيجية للتنمية الشاملة تأخذ في اعتبارها متطلبات التغيير ووسائله في إطار البعد الثقافي.

أما الدراسة الحالية فتتفق مع الدراسات السابقة في طرح موضوع الشباب كقاسم مشترك بين تلك الدراسات-عدا دراسة السلوادي (٢٠٠٨)- ورغم أنها تتناول موضوع الشباب من زوايا مختلفة، فبعضها يتناول مشكلات وحاجات الشباب وحلولها والتحديات التي تواجهه؛ كدراسة شبير وعلوان والعيد، وبعضها يتناول موضوع تربية الشباب وتعليمهم؛ كدراسة ضليمي والدويش والشنقيطي والعيد وفايد والجمل، وبعضها يتناول موضع الشباب من جانب علاقته بالثقافة كدراسة الغالي وأبو دف والسلوادي وعلام.

كذلك تتفق هذه الدراسة مع أغلب الدراسات السابقة في استخدام المنهج الوصفي التحليلي، واعتبار التربية الإسلامية المرجعية الأساسية في إعداد الشباب، وهناك التقاء بين هذه الدراسة ودراسة السلوادي في طرح موضوع التغيير، رغم أنها تناولته من زاوية علاقته بالثقافة بعيداً عن موضوع الشباب.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأنها جمعت بين ثلاثة محاور وهي: محور الشباب ومحور الثقافة ومحور التغيير، وكيفية تربية الشباب على ثقافة التغيير من منظور التربية

الإسلامية، حيث لم يعثر الباحث – في حدود علمه- على أي بحث تناول هذه المحاور الثلاثة معاً.

ومن هنا جاء هذا البحث الذي هدف إلى الوصول لرؤية إسلامية لتربية الشباب على ثقافة التغيير، من خلال تحليل لثقافة التغيير في الإسلام ، ولواقع الشباب الفلسطيني لمعرفة نقاط القوة والضعف والمخاطر والتحديات التي تواجههم، وبعد ذلك طرح الباحث رؤيته التربوية لثقافة التغيير التي يجب تربية الشباب الفلسطيني عليها.

مشكلة البحث وتساؤلاته: يأتي هذا البحث للإجابة على السؤال الرئيس:

ما الرؤية الإسلامية لمنهج تربية الشباب على ثقافة التغيير؟

وللوصول إلى هذه الرؤية لا بد من الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما دور التربية الإسلامية في صناعة ثقافة التغيير لدى الشباب؟

٢. ما واقع الشباب الفلسطيني و ضرورة التغيير المطلوبة له؟

٣. ما الرؤية الإسلامية المقترحة لتربية الشباب على ثقافة التغيير؟

أهداف البحث: يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية:

- تحليل دور التربية الإسلامية في تربية ثقافة التغيير لدى الشباب.
- تشخيص واقع الشباب الفلسطيني وضرورة التغيير المطلوبة له.

- تحديد الرؤية المقترحة لتربية الشباب على ثقافة التغيير.

أهمية البحث ومبرراته:

١. تناول هذا البحث موضوعاً بالغ الأهمية في عصرنا الحاضر، وتتمثل هذه الأهمية في زاويتين هما: زاوية الشباب وزاوية التغيير، ونظراً لحاجة الأمة اليوم إلى التغيير نحو الأفضل، ولا تغيير بدون الشباب، كان لا بد من طرح رؤية تربوية لثقافة التغيير المطلوب تربية الشباب عليها.

٢. يمثل الشباب الفلسطيني اليوم أمل الأمة في تحرير فلسطين والمسجد الأقصى، لذا تناول الباحث الشباب الفلسطيني كنموذج لشباب التغيير المأمول.

٣. كذلك يعتقد الباحث أن ما كتب في هذا الموضوع قليل جداً على المستوى العربي، ولم يجد شيئاً على المستوى الفلسطيني- في حدود علم الباحث- مما يعطي أهمية إضافية لهذا البحث.

٤. ويتمنى الباحث أن يستفيد من هذا البحث أهل الاختصاص المسئولون عن الشباب، كوزارة الشباب والرياضة، ووزارة الثقافة، ووزارة التربية والتعليم العالي، وباقي المؤسسات الأهلية والدولية المهتمة بشئون الشباب ، وكذلك الباحثون في ميدان الشباب والتغيير.

منهج البحث: استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي لتحليل دور التربية الإسلامية في صناعة ثقافة التغيير لدى الشباب، ثم لتشخيص واقع الشباب الفلسطيني، ومعرفة التحديات التي تواجهه، والفرص التي يمتلكها لبناء المستقبل، من أجل

الوصول إلى رؤية تربوية لترسيخ ثقافة التغيير لديهم، مما يدفعهم لإحداث نقلة نوعية في حياة الأمة والمجتمع نحو الأفضل.

حدود الدراسة: تتمثل حدود هذه الدراسة في الحدود التالية:

الحد الموضوعي: يتناول هذا البحث موضوع التربية الإسلامية للشباب على ثقافة التغيير.

الحد المكاني: المجتمع الفلسطيني في مناطق السلطة الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة).

الحد الزماني : واقع الشباب الفلسطيني حسب احصائيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الصادر بتاريخ ١١-٨-٢٠١٦ ، بمناسبة اليوم العالمي للشباب.

مصطلحات البحث:

التربية الإسلامية: عرفها (علي،س.٢٠٠٥: ص٣٢-٣٣) بأنها : "منظومة متكاملة من نسق معرفي من المفاهيم، والعمليات، والأساليب، والقيم، والتنظيمات، التي يرتبط بعضها بالبعض الآخر في تآزر واتساق تقوم على التصور الإسلامي لله والكون والإنسان والمجتمع ، وتسعى إلى تحقيق العبودية لله بتنمية شخصية الإنسان بصفته فرداً وجماعة من جوانبهما المختلفة بما يتفق والمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية التي تسعى لخير الإنسان في الدنيا والآخرة"

وعرفها (القاضي،س.٢٠٠٤: ص٢٢) بأنها: " التنمية الشاملة لجميع جوانب شخصية الفرد (جسمياً وعقلياً واعتقادياً وروحياً

وخلقياً واجتماعياً ونفسياً وإرادياً وجنسياً وجمالياً)، في ضوء ما جاء به الإسلام، حتى يكون هذا الفرد عابداً لله وحده، عبودية تحقق له الفوز بالدنيا والآخرة، وتجعله لبنة خيرة في بناء مجتمعه وإسعاد البشرية"

وعرفها (أبو دف،م. ٢٠٠٧: ص٣) بأنها: "عملية منهجية متدرجة، تهدف إلى تنشئة الإنسان الصالح وفقاً لغاية الخلق".

الشباب: عرفه (الصوفي،ح.٢٠٠٤، ٩٥١) بأنه" مرحلة القوة والعطاء في حياة الإنسان، وتنحصر بين العام الخامس عشر والعام الثلاثين من عمر الإنسان" ، وعرفه (الجعب،ن.٣،٢٠١١) بأنه " مرحلة قوة بين ضعفين، قوة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ، وهي مرحلة عمرية بين ١٥-٢٥ سنة؛ كما حددها مؤتمر وزراء الشباب الأول في جامعة الدول العربية بالقاهرة ١٩٦٩م، انسجاماً مع المفهوم الدولي المتفق عليه في هذا الشأن ، علماً بأن المدى العمرى للشباب يختلف باختلاف البلدان والمجتمعات.

الثقافة: هي النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك..وتعرف بأنها كل ما يسهم في عمران النفس وتهذيبها لأن من معاني الثقافة التهذيب.(شحاتة،ح. والنجار،ز.٢٠٠٣، ١٦٢-١٦٣)

ويرى (الجعب،ن. ٢٠١٠، ٤) أن "الثقافة هي التي تحدد هوية الأفراد وتميز مجتمعاً ما عن غيره من المجتمعات الأخرى، وهي

صفة وراثية تنتقل من جيل لآخر، مما يؤكد وحدة الأمة ، ومن ثم تحدد السلوك الافتراضي الذي ينبغي سلوكه اتجاه كافة مثيرات الحياة المحيطة، كأنها تمثل بصمة الأصبع التي لا تتكرر من مجتمع لآخر".

ثقافة التغيير: يقصد بها الباحث" منظومة الأفكار والقيم التي تؤسس لبناء اتجاهات إيجابية نحو فهم الواقع المجتمعي والعمل على تغيير السلوكيات السلبية فيه إلى سلوكيات إيجابية في مختلف ميادين الحياة بما يحقق رقي المجتمع وسعادته".

الإجابة عن السؤال الأول: ما دور التربية الإسلامية في صناعة ثقافة التغيير لدى الشباب؟

للإجابة على هذا السؤال لابد من تناول دور التربية الإسلامية في صناعة ثقافة التغيير لدى الشباب، من أربعة جوانب هي: دور الشباب في التغيير، مؤهلات الشباب للتغيير، الشباب وتحديات التغيير، خصائص ثقافة التغيير المطلوبة، وذلك كما يلي:

أولاً: دور الشباب في التغيير

لمرحلة الشباب أهمية خاصة على المستويين الاجتماعي والإنساني ، لأنها مرحلة الطاقة الدفاقة والعقلية المبدعة والإرادة المغيرة ، فالشباب جماع القوة بمعانيها الشاملة والمتنوعة؛ التي تغطي جوانب الحياة جميعاً، لما يتصفون به من صفات لا يشاركهم فيها غيرهم، كما قال الإمام الشهيد حسن البنا "أيها الشباب: إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل

على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب " (البنا،ح. ١٩٩٢، ١٧٣).

ومن المهام الكبرى التي يضطلع بها الشباب :

١-نقل التراث من الأجداد إلى الأحفاد.

لأنهم يعيشون الحاضر فيأخذون ممن سبقهم ويعيشون المستقبل فيعطون من يأتي بعدهم ، ومن هنا كان من الأهمية بمكان توعية الشباب بتراثهم وعقيدتهم وحضارتهم ، بحيث يعطونها الولاء، ويحملونها بفخر واعتزاز للعالم من حولهم ، ولا يقعون صرعى في شباك الاستشراق والتغريب ، بل حداؤهم قول الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامع

مناصرة كل فكرة تغييرية :

فكبار السن غالباً ما يكونون عقبة أمام دعوات التغيير، فهم كمن قال الله فيهم " قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا "(المائدة،١٠٤) ، أما الشباب الذين يتطلعون لمستقبلهم –والذين لن يشاركهم فيه كبار السن- فإنهم يحبون أن يكون مستقبلهم مختلفاً عن حاضرهم ، ومن هنا فهم الأسرع استجابة لدعاة التغيير ، فلا تكاد ثورة أو فكرة تقوم إلا ويكون المبادرون فيها من الشباب، ولذا كان أغلب أصحاب النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شباباً.

ذلك "أن الجهاد والمقاومة والعمل في بناء الجيوش تعد الأعمار ١٦ – ٢٥ عاماً هي القيادة والريادة في بناء الأمة، وتوجيه دفة

مسارها، واستعادة كرامتها، وبناء المثالية بالنسبة له، فيما تعتبر سنوات ١٨ – ٢٢ عاماً من أهم مراحل العطاء العقلي والمشاركة الفاعلة للشباب في المرحلة الطلابية في بناء شخصيته والتفاعل السياسي مع المحيط، بينما يمثل الشباب في سن ٢٢-٣٥ مشروع نهضتها" (الحمد،ج.٢٠١١) .

٣- رسم مستقبل الأمة :

فالشباب نصف الحاضر وكل المستقبل، ويمكنك أن تحكم على مستقبل أي أمة من خلال سلوك شبابها، ولذلك تتجه الحركات والتنظيمات السياسية والاجتماعية إلى احتضان الشباب، وتربيتهم على أفكارها وتصوراتها، حتى إذا كبروا وتبوؤوا المراكز الاجتماعية والسياسية، فإنهم سيقودونها من خلال الفكر الذي تربوا عليه، ومن هنا تتعالى صيحات الخطر في بلاد الغرب للمستقبل المجهول الذي ينتظرهم بسبب غرق شبابهم في الملذات والشهوات، والذي أدى إلى تناقص أعداد الشباب مما يشير إلى توجه تلك البلدان نحو مرحلة الشيخوخة، في حين أن المجتمعات الإسلامية تتجه نحو مرحلة الشباب، "فالمجتمعات الغربية على أعتاب القرن العشرين ليست المجتمعات الغربية التي أدارت " آلة الترانسفير " الضخمة ، وأهم التغيرات التي اعترتها أنها ما زالت مجتمعات فتية اقتصاديا وعسكريا ولكنها هرمة سكانيا . وقد جاءت حالة الاحتجاج التي اجتاحت فرنسا مؤخرا متمثلة في إضراب موظفي الخدمات وتظاهرهم كأول استحقاقات هذه الشيخوخة ، وسبب الاحتجاجات نظام جديد للمعاشات سيجبر المواطنين على العمل لسنوات أطول قبل أن يتمكنوا من

التقاعد"(الشيخ،م.٢٠٠٣،موقع http://www.nashiri.net) .
أما المجتمعات العربية وعلى رأسها المجتمع الفلسطيني فهي مجتمعات فتية، كما أعلن لؤي شبانة أن ٥٢,٢% من مجموع السكان المقيمين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ (الضفة والقطاع) هم أطفال أقل من ١٨ سنة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.٢٠٠٧).

٤- المعتمد عليهم في الإنتاج والبناء:

لأن الشباب يمتلكون القوة بأبعادها المختلفة العقلية والجسدية والنفسية ، فهم الأقدر على الإنتاج والإبداع والتغيير ، فهم الذين تسير بهم العملية التعليمية والمصانع والمزارع والتكنولوجيا الحديثة ،"فأوساهير " الشاب الياباني هو الذي أدخل المحرك الأوروبي في الصناعة اليابانية، مما جعل اليابان تضع قدمها على طريق التقدم الصناعي.

ويتمثل الهدف العام لليونسكو للعمل مع الشباب ب" ضمان وتعزيز مشاركتهم الكاملة في المجتمع على قدم المساواة مع الرجال ،وأن يكونوا شريكاً ذا قيمة ، لا سيما في تصميم المعرفة الاجتماعية، وتمكينهم من استخدام رؤاهم الإبداعية وتطلعاتهم في خدمة المجتمع والتنمية (UNESCO,٣،٢٠٠٤).

٥- حصن الحماية للوطن من المعتدين:

فمن الذين يتقدمون الصفوف للدفاع عن حمى الوطن من سطوة المعتدين ؟ ومن الذين يبذلون دماءهم رخيصة من أجل كرامته ؟

إنهم الشباب بشكل رئيس ، وربما يكون الشيوخ سبباً لإعاقتهم عن أداء هذا الدور العظيم .

ففي غزوة أحد حينما شاور النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المسلمين في شأن البقاء في المدينة لمواجهة المعتدين أم الخروج لملاقاتهم؟ كان رأي الشباب هو الغالب والذي يقضي بالخروج لملاقاتهم خارج المدينة حفاظاً على كرامة المسلمين وعزتهم ، ولذلك رجع عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش وهو يقول: "عصاني وأطاع الولدان" (الحلبي،ع.٢٠٠٢ ج٢: ص٣٠١)

وعلى أرض فلسطين نجد أن الشباب دائماً هم وقود الانتفاضات والعمليات الجهادية ، فحسب إحصائية مركز المعلومات الوطني الفلسطيني لعدد الشهداء الفلسطينيين في الفترة من ٢٠٠٠\٩\٢٨ حتى ٢٠٠٧\٢\٢٨ ، فقد بلغ (٥١٤٧) شهيداً من بينهم (٩٣٩) طفلاً أقل من ١٨ سنة ، ومن بين ١٠٤٠٠ أسير في المعتقلات الصهيونية يوجد ١١٧٥ طالب وطالبة من طلبة المدرس والجامعات الفلسطينية (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني،٢٠٠٧).

وهذه الإحصائيات تدل دلالة أكيدة على عمق وسعة المشاركة الشبابية في العمل المقاوم دفاعاً عن الوطن ،رغم أنها لا تشمل كل شريحة الشباب الممتدة حتى ٢٥ سنة.

ثانياً: مؤهلات الشباب للتغيير

يقصد الباحث بمؤهلات التغيير أنها" الإمكانات والقدرات والخصائص التي يتمتع بها الشباب دون غيرهم من الناس، بحيث تمكنهم من قيادة التغيير في مجتمعاتهم، وتحقيق مستقبل أفضل لها".

وتتمثل هذه المؤهلات فيما يلي:

١.حب التغيير والقدرة على بناء المستقبل:

إن التغيير سنة إلهية يقوم عليها هذا الكون في كل مكوناته المادية والمعنوية ، وتتأثر المجتمعات البشرية بسنة التغيير بشكل واضح وإن ظهر بطيئاً أحياناً ، وفي هذا يقول الله تعالى" وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "(آل عمران،١٤٠) .

وبناء على ريادية الشباب لعملية التغيير فإن "حركات التغيير في التاريخ العالمي اتجهت إلى الشباب لتجعل منه وسيلتها ، ومادتها، ومحل أفكارها، وإطار حركتها، ومنجم تضحياتها، ومن طبيعة الشباب أن يستهويه كل جديد ، ويراوده كل أمل في التغيير"(محجوب،ع.١٤٠٦هـ، ٩)

وحسب تقرير البنك الدولي للتنمية البشرية للعام ٢٠٠٧ ، فإنه يعيش في البلدان النامية (١،٣ بليون شاب) ، ويعلق التقرير على ذلك قائلاً :" إنه نظراً لوجود ١,٣ بليون شاب يعيشون حالياً في بلدان العالم النامية ـ وهو أكبر رقم تبلغه شريحة الشباب على مر التاريخ، لم يكن هناك وقت أفضل من الآن للاستثمار فيهم، حيث إنهم أفضل صحة وأوفر حظاً من التعليم مقارنة بالأجيال السابقة،

وحيث إنهم يدخلون قوة العمل في ظل انخفاض عدد المُعالين بسبب تغيّر العوامل الديموغرافية. إلا أن من شأن الإخفاق في اغتنام هذه الفرصة لزيادة فعالية ما يتلقونه من تدريب ليلاءم احتياجات سوق العمل، ولجعلهم مواطنين فاعلين في مجتمعاتهم أن يؤدي إلى تفشي حالة من الإحباط وخيبة الأمل، ومن ثمّ إلى توترات اجتماعية."(البنك الدولي، ٢٠٠٧، تقرير).

وما دام أن الشباب يمثل هذا العدد من سكان الدول النامية والدول العربية جزء كبير منها، فهذا العدد يعطي الشباب قدرة التأثير على مستقبل المنطقة في حالة أن ينهض الشباب ليرسموا مستقبلهم من خلال مؤسسات تنظم طاقاتهم .

وتعتبر المجتمعات العربية والإسلامية مجتمعات شابة قياساً إلى المجتمعات الغربية التي تتجه نحو الشيخوخة ، ويمثل هذا المعطى حافزاً لأهل الإصلاح والتغيير من الدعاة والمصلحين لوضع البرامج الكفيلة باستثمار هذه الطاقات الشابة لتغيير الواقع الإسلامي أولاً ثم الواقع العالمي ثانياً، وبالتأكيد حسم مستقبل الصراع بين الفلسطينيين واليهود في حالة أن يتوحدوا تحت راية الإسلام تربية وجهاداً .

٢. الإيمان بالفكرة:

ليس هناك من عملية تغيير حققت أهدافها إلا وكان وراءها قيادة آمنت بفكرة التغيير، وتشربت حبها، وتفانت في سبيلها، ذلك أن حياة الأفكار لا تتحقق إلا بذوبان الأشخاص فيها، حتى يصبحوا أدلاء عليها،وهذا ما ربى عليه القرآن اتباعه" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " (الأنعام،١٦٢-١٦٣) ، وكما روي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت كان خلق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن - رواه أحمد ومسلم وأبو داود، وهذا ما أوصى النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه : "دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا" (كنز العمال عن ابن عمر رضي الله عنه).

٣. الميل للعمل الجماعي:

لاشك أن مهمة التغيير التي ينتدب الشباب أنفسهم لها ، لا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع ، ويكتب لها النجاح ، إلا إذا تضافرت حولها الجهود ، وحشدت لها الطاقات ، وتوزعت على روادها الواجبات والمسئوليات، ومن هنا كان التغيير يستلزم العمل الجماعي ، وبما أن الشباب وقود التغيير ، إذا لا بد أن يميلوا للعمل الجماعي ، وينخرطوا في سلكه ، وينضووا تحت لوائه، وإلا فإن الجهود الفردية سرعان ما يزول أثرها ، وينزوي تأثيرها ، ويتفرق أنصارها بموت قائد التغيير ، الذي لم يصهر طاقات هؤلاء في مؤسسة جماعية ذات قرار شوري .

ولاشك أن مرحلة الشباب هي بدء مرحلة النزوع إلى تشكيل الجماعات ، والإنسلاك في الأعمال الجماعية، والحياة ضمن أطر جماعية ضرورة تربوية لا تعوض بغيرها" (محجوب،ع. ١٤٠٦هـ، ١١).

٤. الطاقة والحيوية والعطاء:

فإذا رسمنا منحنىً بيانياً يمثل نسبة العطاء والحيوية في مراحل العمر ، سنجد أن قمة هذا المنحنى في مرحلة الشباب ، ففيها الدراسة والاجتهاد العلمي ، وفيها العمل وتحصيل الرزق ، وفيها الانخراط في العمل السياسي والجهادي والاجتماعي ، ولذا أوصى النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) باغتنام هذه المرحلة.

ومن أمثلة الطاقة والحيوية عند الشباب ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ياعبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله قال: فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله فشددت فشدد علي قلت يا رسول الله إني أجد قوة قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه قلت وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام قال نصف الدهر فكان عبد الله يقول بعد ما كبر يا ليتني قبلت رخصة النبيصَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رواه البخاري) .

٥. الحماسة والإرادة:

إن الحماسة تعلق وولع بالأمر يدعو إلى التشدد فيه ، والجرأة والشجاعة في إنفاذه ، فهو يبدأ بشعور وعاطفة وتعلق ، ينبثق منه حينئذٍ تغير وسلوك نفسي يتولد من خلاله جرأة تترجم إلى شجاعة

في إنفاذ الأمر وعدم التساهل أو الترخص فيه (بادحدح، ع.٢٠٠٧).

ومن ذلك تحدي عبد الله بن مسعود لقريش بالجهر بالقرآن أمامها ، وهو يعلم ما يمكن أن يصيبه من وراء ذلك ، ورغم ما أصابه من ضرب وإهانة جسدية إلا أنه فاجأ المسلمين في اليوم التالي وهو يقول "أما لو شئتم لأعاودنهم بها " ، أي لم تنهزم نفسيته بل لديه شعور بالتحدي وعدم الاستسلام.

٦. الاستعداد للتضحية:

فمن الذين يتقدمون الصفوف للدفاع عن حمى الوطن من سطوة المعتدين ؟ ومن الذين يبذلون دماءهم رخيصة من أجل كرامته ؟ إنهم الشباب بشكل رئيس ، وربما يكون الشيوخ سبباً لإعاقتهم عن أداء هذا الدور العظيم .

ففي غزوة أحد حينما شاور النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المسلمين في شأن البقاء في المدينة لمواجهة المعتدين أم الخروج لملاقاتهم ، كان رأي الشباب هو الغالب والذي يقضي بالخروج لملاقاتهم خارج المدينة حفاظاً على كرامة المسلمين وعزتهم ، ولذلك رجع عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش وهو يقول "يعصيني ويطيع الولدان؟".

وعلى أرض فلسطين نجد أن الشباب دائماً هم وقود الانتفاضات والعمليات الجهادية ، فحسب إحصائية مركز المعلومات الوطني الفلسطيني لعدد الشهداء الفلسطينيين في الفترة من ٢٠٠٠\٩\٢٨ حتى ٢٠٠٧\٢\٢٨ ، فقد بلغ (٥١٤٧) شهيداً من بينهم (٩٣٩)

طفلاً أقل من ١٨ سنة ، ومن بين ١٠٤٠٠ أسير في المعتقلات الصهيونية يوجد ١١٧٥ طالب وطالبة من طلبة المدرس والجامعات الفلسطينية (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني ،٢٠٠٧).

وهذه الإحصائيات تدل دلالة أكيدة على عمق وسعة المشاركة الشبابية في العمل المقاوم دفاعاً عن الوطن ،رغم أنها لا تشمل كل شريحة الشباب الممتدة حتى ٢٥ سنة.

ثالثاً: الشباب وتحديات التغيير

يواجه الشباب الفلسطيني في طريقه للتغيير تحديات عديدة متنوعة بعضها ذاتي متصل بتربية الشباب لأنفسهم ومجتمعهم، وبعضها موضوعي متصل بالتحديات المفروضة من خارج الشعب الفلسطيني كالاحتلال الصهيوني، وفيما يلي بيان لتلك التحديات:

١. **عدم وضوح الطريق:** حيث يعاني الشباب الفلسطيني من تعدد الولاءات الفكرية والحزبية والسياسية، وربما تتضارب طرق التغيير التي تتبعها هذه الولاءات المتعددة، فعلى الساحة الفلسطينية تيارات فكرية متعددة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فهناك الحركات الإسلامية بأطيافها المختلفة (الإخوان المسلمون وذراعها الفلسطيني حركة حماس، والجهاد الإسلامي، والسلفية بتياريها التقليدي والجهادي، والدعوة والتبليغ، وحزب التحرير، والطرق الصوفية....)، وبالمقابل هناك التيارات القومية العلمانية

كحركة فتح والجبهة الشعبية والجبهتين الديمقراطيتين، وحزب الشعب الشيوعي، ومنظمات صغيرة أخرى.

ونتيجة لهذا التلون الفكري الفلسطيني، يصاب الشباب بالدوار والحيرة في سؤالهم: أين الطريق لتغيير الواقع وتحقيق الأهداف الاستراتيجية للشعب الفلسطيني؟ وهنا تضيع البوصلة، ويصاب الشباب باليأس والاحباط مما يقعدهم عن محاولات التغيير والسعي نحو المعالي.

٢. **ضعف الإسناد والإمكانات:** رغم أن من المفاهيم المرتبطة بالشباب مفهوم القوة بكل صورها المختلفة؛ كقوة الجسد والعقل والإرادة ؛ إلا أن الشباب لا يمتلك الامكانات المادية أو الأدبية لينفذ رغباته في التغيير والإصلاح وبناء المستقبل، فالكبار هم الذين يمتلكون كل ذلك، والشباب أدوات للتنفيذ في كثير من الأحيان.

ومجمل هذا القول أن الشباب لديهم الاستعدادات للفعل الإبداعي والتغيير، فإذا ما فوضوا لفعل ذلك، رأيت منهم الشيء العجاب، ولقد تفطن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى هذه الطاقة المذخرة في الشباب؛ فوظفها إلى أقصى مدى، فقال في الحديث: عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ ، وَشَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، قَالا : كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَتُفْتَحُ لَكُمُ الأَرْضُ وَيَأْتِيكُمْ قَوْمٌ " ، أَوْ قَالَ : " غِلْمَانٌ حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْكُمْ ، فَإِذَا جَاءُوكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ ، وَأَلْطِفُوهُمْ ، وَوَسِّعُوا لَهُمْ

فِي الْمَجْلِسِ وَفَهِّمُوهُمُ الْحَدِيثَ " ، فَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ لَنَا : مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نُوَسِّعَ لَكُمْ فِي الْمَجْلِسِ ، وَأَنْ نُفَهِّمَكُمُ الْحَدِيثَ . (ابن عبد البر،ي. حديث رقم ٦٤٦)

٣. **الثقافة التقليدية الموروثة:** ما دام أن الثقافة هي نتاج بشري فلا بد أن تحتوي على الصواب والخطأ، والحق والباطل، والخير والشر، وثقافتنا الفلسطينية مثل كل الثقافات، بحاجة إلى نقد وتمحيص وإعادة إحياء للجوانب الخيرة فيها، وعزل الجوانب السيئة، ومن صور ذلك الأمثال الشعبية ؛ التي تعتبر خلاصة تجارب الشعوب حيث يتم صياغتها على شكل أقوال تتناقلها الأجيال، وهي "وليد تجربة عقلانية واعية رصدت بتدبر ووعي ودقة ملاحظة، وقوة استنتاج"حكمة" أو قولاً هو ما يسمى " المثل الشعبي" فاستساغه الشعب؛ فأخذ صفة الاستمرارية في التداول والقبول من شخص لآخر" (المبيض،ع.١٦،٢٠٠٦).

وتزخر الأمثال الشعبية الفلسطينية بالقيم الإيجابية والسلبية للتنمية، وتمثل عند البعض عقيدة يجب التمسك بها، لذا يجب غربلة هذه الأمثال وتعزيز الأمثال ذات القيم الإيجابية ونقد الأمثال السلبية، ومثال ذلك(المبيض،ع.٢٠٠٦،ص١٥٤، ٣٤٤،٢٢٤، ٣٤٦):

أمثال ذات قيم إيجابية للتنمية: "يا بخت من بنى وعلى وراح وخلى" يحث على الإعمار وترك الأثر الطيب بعد الموت.

"احنا بنزرع وأولادنا بيحصدوا" دعوة للعمل ونفع الأجيال، "من رقعت ما عريت، ومن دبرت ما جاعت" دعوة للاكتفاء الذاتي والانتفاع بالموجود.

أمثال ذات قيم سلبية للتنمية: "ياروح ما بعدك روح" "العب وحدك ترجع راضي" يدعوان إلى حب الذات وعدم التعاون.

"على قد لحافك مد رجليك" رغم أنه يدعو للقناعة بالموجود إلا أن البعض يفهمه على أنه رضا بالواقع السيئ وعدم العمل لتغييره.

٤. **الواقع السياسي والاجتماعي السيئ:** والذي يتمثل بوجود الاحتلال الصهيوني على الأرض الفلسطينية، وما نجم عن ذلك من استيطان الأرض، وتهويد المقدسات، وتشريد الفلسطينيين كلاجئين في المنافي، والمؤامرة على حق العودة، وتدجين منظمة التحرير الفلسطينية لتصبح مفاوضاً سياسياً بعد أن كانت مقاومة مسلحة، وما ترتب على ذلك من الاعتراف بالكيان الصهيوني دون قيام للدولة الفلسطينية على حدود ١٩٦٧، ولا يزال الطرف الفلسطيني المفاوض مصراً على طريق السلام كطريق أوحد لحل القضية الفلسطينية، وها هو يذهب في هذه الأيام للمطالبة بالحصول على العضوية الكاملة في الأمم المتحدة كدولة فلسطينية مستقلة بعد يأسه من المفاوضات اللامتناهية مع الاحتلال.

وكثمرة من ثمرات طريق أوسلو دب النزاع والخلاف والانقسام بين أبناء الشعب الفلسطيني، وانقسم إلى حكومتين في الضفة الغربية وغزة، بعد فترة من الصراع الدموي بين فتح وحماس،

كل هذه الأوضاع السياسية المتردية تمثل تحدياً خطيراً أمام شباب التغيير، لأنه يستلزم منهم توحيد الشعب الفلسطيني تحت رؤية تغييرية واحدة.

٥. **الاستهداف الأخلاقي:** عمل الاحتلال الإسرائيلي على تدمير المنظومة الأخلاقية لدى أبناء الشعب الفلسطيني ، كوسيلة فعالة للسيطرة عليهم ، وتسخيرهم كعملاء لخدمة أمنه ومخططاته الإفسادية ، فقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون اليهودية (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل شاب فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا ، سيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق).

واستخدم اليهود لتدمير أخلاق الفلسطينيين وسائل عديدة من بينها: وسائل الإعلام الهابطة كالتلفاز ، والفضائيات، والجنس والمخدرات والتطبيع والعمالة ونشر المذاهب الفكرية والسياسية الهدامة، ومن هنا فإن تبعة التغيير تستلزم تحرير الشباب الفلسطيني من كل هذه الموبقات، ليستعيد عافيته، ويقوم بدوره وواجبه نحو دينه ووطنه.

رابعاً: خصائص ثقافة التغيير

إن عملية التغيير عملية معقدة وصعبة وتحتاج إلى نفس طويل من القائمين عليها، ولكي تؤتي ثمارها فلابد أن تتميز عن الواقع الذي تسعى لتغييره، فتستفيد من إيجابياته، وتتلافى سلبياته، ومن أجل ذلك لا بد أن تتصف بالخصائص التالية:

١. **جذورها في الماضي وسيقانها معاصرة:** فهي تستمد جذورها من الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ والتراث الفلسطيني، مصداقاً لقول الله تعالى: " **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" (البقرة:١٣٨)** وفي نفس الوقت لا تغفل الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة والتطورات المعرفية المعاصرة كما ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها" رواه الترمذي وابن ماجه.

٢. **وحدوية تحترم التنوع والاختلاف:** فأي مجتمع من خصائصه التنوع الثقافي في صوره المتعددة الدينية والسياسية والعشائرية، ومن هنا يجب احترام هذا التنوع وتوظيف هذا الاختلاف لإحداث عملية التغيير ورسم صورة متكاملة لهذا المجتمع، لقوله تعالى: " **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) سورة هود.**

٣. **جماعية:** فلكي يؤتي التغيير أكله لابد أن يؤمن به الجميع ويلتزمون بمتطلباته، كما قال تعالى: " **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .." (آل عمران:١٠٣)**، وهذا هو دور الثقافة التي تسبق عملية التغيير، والتي تستهدف تغيير الأفكار والاتجاهات أولاً، ثم تغيير السلوك، فعلى دعاة التغيير أن يصلوا إلى جميع طبقات المجتمع من خلال الوسائل الإعلامية والثقافية المختلفة .

٤. **تفاعلية تشاركية:** ومادام أن هذه الثقافة جماهيرية فيجب أن لا تكون تلقينياً للحفظ والتسميع، بل لابد أن تخضع للنقد والأخذ والرد من الشريحة الواسعة المثقفة، فلا قداسة لأحد في هذه الثقافة، لأنها من مصدر بشري يحتمل الصواب والخطأ، كما قال الإمام مالك -رحمه الله-: "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"، إضافة إلى ان مشاركة الآخرين في بلورة ثقافة التغيير يثريها و يجعلها مقبولة لديهم ؛ وليسوا أعداء لها.

٥. **مقاومة لا مساومة :** فثقافة التغيير تستهدف استبدال الواقع القائم بواقع جديد تتاح فيه الحريات والعدالة والمساواة، ومن هنا سينشأ لها أعداء من المستفيدين من الواقع القائم، وربما تتعرض لمساومات لتحيد عن أهدافها المرسمة، ومن هنا يجب أن تكون ثقافة مقاومة لا تعرف التنازل والمساومة، وإلا فإنها بذلك تحكم على نفسها بالفناء والزوال، كما ورد في سيرة ابن هشام عن موقف النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) من مساومات قريش:" يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته" (ابن هشام،ع. ١٩٩٠)

٦. **تدرجية مرحلية:** فالتغيير لا يمكن أن يحدث مرة واحدة، كما أن ما يجب تغييره لم يأت فجأة، بل تراكم عبر السنين، والتدرج سنة من سنن هذا الكون حيث تنتفي فيه الطفرات والقفزات غير المعقولة فأي مخلوق يتم تكونه في مراحل متدرجة ، وكذلك

شريعة الإسلام ركزت على بناء العقيدة طوال ثلاث عشرة سنة في مكة ثم نزلت التكاليف متدرجة في المدينة ﴿ وَقرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ (الإسراء، ١٠٦)

٧. **إنسانية:** فالإنسان هو هدف التغيير المنشود ، ومن هنا تظهر أهمية تربيته على مبادئ وقيم معينة تحفظ له إنسانيته ، وما دام أن التغيير الذي نريده جذوره مرتبطة بالأصالة ونعني بها الإسلام ، فلا بد أن يلتزم بالتغيير الإسلامي ، وغاية التغيير في الإسلام هي تحقيق السعادة للبشرية جمعاء، كما قال (ابن القيم:م.١٤٣٢هـ، ٢/٢٢-٢٣): "وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت قدم أهمها وأجلها وإن فات أدناها، وتعطيل المفاسد الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت عطل أعظمها فساداً باحتمال أدناها. ولا يكون ذلك مبرراً له باستخدام الوسائل غير الشريفة ، فالغاية عنده لا تبرر الوسيلة.

الإجابة عن السؤال الثاني: ما واقع الشباب الفلسطيني وضرورة التغيير المطلوبة له؟

استمد الباحث الإحصائيات الواردة حول واقع الشباب الفلسطيني من تقرير للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الصادر بتاريخ ١٢-٨-٢٠١٦ ، بمناسبة اليوم العالمي للشباب ٢٠١٦، حيث رسم صورة إحصائية لهذا الواقع كما يلي:

الواقع الديمغرافي : بلغت نسبة الشباب (١٥-٢٩) سنة في الأراضي الفلسطينية حوالي ٣٠ % من إجمالي السكان، و بلغت نسبة الجنس بين الشباب١ ١٠٤. ذكور لكل١٠٠ أنثى، علما بأن تقديرات عدد السكان في الأراضي الفلسطينية (الضفة والقطاع) منتصف العام ٢٠١٦ تشير إلى أن إجمالي عدد السكان بلغ نحو ٤,٨٢ مليون .ويظهر التوزيع العمري للسكان أن المجتمع الفلسطيني هو مجتمع فتي حيث أن الهرم السكاني هرم ذو قاعدة عريضة ورأس مدبب، مما يعني أنه ولسنوات قادمة سيبقى المجتمع فتيًا.

الواقع التعليمي: تظهر الإحصاءات المتوفرة لعام ٢٠١٥ أن حوالي ٣٩% من الشباب(١٥-٢٩) سنة ملتحقون بالتعليم، كما تشير الإحصاءات إلى أن معدلات التسرب (سواء التحق وترك أو لم يلتحق بالتعليم أبد ا) في الأراضي الفلسطينية قد بلغت ٣٤% (% ٣٤,٦للذكور و ٢٥,٤٪ للإناث)، وأن الإناث الشابات (% ١٠,٠) أكثر التحاقا بالتعليم العالي من الشباب الذكور(% ٨,١)، كذلك تشير البيانات إلى أن٠,٨ % من الشباب أميون بواقع % ٠,٩ للذكور ٠,٧٪ للإناث.

وبلغ معدل البطالة بين الخريجين الشباب ٥١ % خلال الربع الأول ٢٠١٦ ، ليسجل الخريجون من تخصص العلوم التربوية وإعداد المعلمين أعلى معدل بطالة إذ بلغ ٦٤%، بينما سجل الخريجون من تخصص القانون أدنى معدل بطالة إذ بلغ ٢٥%..

الواقع الثقافي: ٤٩,٨٪من الشباب في الأراضي الفلسطينية في العام ٢٠١٥ لا يقرأون الصحف اليومية أو المجلات إطلاقا؛ ٪ ٤٠,٤ في الضفة الغربية و ٪ ٦٥,١ في قطاع غزة .بينما يشاهد ٪ ٨٧,٢ من الشباب في الأراضي الفلسطينية التلفاز بشكل يومي و ٪ ٢٧.١ يستمعون إلى الراديو بشكل يومي و ٧٠ ٪يعرفون ويستخدمون الانترنت ، وأن نسبة الشباب الذين يستخدمون الحاسوب قد بلغت ٧٠٪ في الأراضي الفلسطينية.

الواقع الصحي: ٪ ٣٣,١ من الشباب يمارسون الرياضة بشكل منتظم؛ بواقع ٪ ٣٥,٦ في الضفة الغربية مقابل٢٩,٠ ٪ في قطاع غزة، و ٢,٨٪ من الشباب مصابون بمرض مزمن واحد على الأقل؛٣,٣٪ ذكور مقابل ٪ ٢,٣ إناث، وأظهرت نتائج مسح الشباب الفلسطيني ٢٠١٥ أن نسبة المدخنين الشباب قد بلغت ٢٤٪ من إجمالي الشباب.

الواقع الاقتصادي: بينت نتائج المسح إلى أن ١٦٪ من فئة الشباب أكملوا الانتقال من التعليم إلى سوق العمل ليعملوا في وظائف مستقرة ودائمة بينما ٨٤٪ من فئة الشباب انتقلوا إلى خارج القوى العاملة، أو عاطلين عن العمل، أو يعملون في أعمال غير دائمة مؤقتة، تدوم أقل من ١٢ شهرًا .

الهجرة: اظهرت نتائج مسح الشباب الفلسطيني ٢٠١٥ ان حوالي ٢٤٪ من الشباب (١٥-٢٩) سنة في فلسطين لديهم الرغبة للهجرة للخارج اظهرت النتائج ان ٦٣٪ من الشباب (١٥-٢٩) سنة الذين يرغبون في الهجرة لا يفكرون بهجرة دائمة.

الجرائم والمخدرات: حسب إحصائيات موقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني فقد تم التبليغ في الضفة الغربية للعام ٢٠٠٩ عن (١٦٢٩١) ما بين جرائم مختلفة ومخدرات وكان أعلاها حسب الترتيب التنازلي: الاعتداء-الإيذاء الأخلاقي- السرقة- التزوير والاحتيال- الجرائم المشتبه فيها- المخدرات.

أما بالنسبة للمخدرات فليس هناك رقم دقيق أو حقيقي لعدد متعاطي المخدرات في فلسطين إلا أن إحصائية عام ٢٠٠٧ التي قامت بها دائرة الإحصاء الفلسطيني تشير إلى أن عدد المتعاطين يقدر ب ٣٢ ألف متعاط، أما المدمنين منهم بشكل دوري يقدر عددهم ب١٠ ألاف في القدس والضفة والقطاع، أما إحصائيات مؤسسة الميزان فتشير إلى أن هناك ٦٠ ألف متعاط ومدمن في القدس وحدها و٢٠ ألف متعاط ومدمن ينقسمون إلى ٥ ألاف مدمن و١٥ ألف متعاط"، مؤكداً أن المشكلة الرئيسية في هذا الموضوع تكمن في تدني عمر المتعاطين إذ وجدت حالات تعاط لم تتجاوز ال١٤ عاماً وحالات تعتبر شاذة تحت سن ١٢ عاماً. (palst.com/news١٧-٩-٢٠١١)

تعقيبات على واقع الشباب الفلسطيني:

بتحليل البيانات السابقة حول واقع الشباب الفلسطيني يمكن أن نحدد عناصر القوة، والضعف، والتحديات والفرص، التي يعيشها الشباب في المجتمع الفلسطيني، ومن ثم الوصول إلى تصور حول ثقافة التغيير التي يجب تربية الشباب عليها لصناعة الغد الواعد، وذلك على النحو التالي:

عناصر القوة لدى الشباب الفلسطيني: تتمثل عناصر القوة لدى الشباب الفلسطيني؛ في كون المجتمع الفلسطيني مجتمعاً فتياً، وهي "خاصية تميز المجتمع الفلسطيني ، وتمثل أحد المبشرات بمستقبل واعد له ، وعاملاً هاماً من عوامل حسم الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ،ألا وهي النسبة العالية من الشباب وصغار السن في هذا المجتمع ،وهذا الأمر على خلاف ما عليه المجتمع الإسرائيلي الذي تزيد فيه نسبة كبار السن ، ومن المعلوم أن ازدياد نسبة الشباب في أي مجتمع دليل على حيويته وقدرته على الإنتاج والتنمية ، في حين أن ازدياد نسبة الشيخوخة في أي مجتمع على حساب نسبة الشباب يهدد هذا المجتمع بالضعف وقلة الإنتاج وتأخر عجلة التنمية" (الجعب،ن.٢٠٠٩، ٥٠-٥١).

كذلك يعتبر التعليم عنصر قوة للشباب الفلسطيني، حيث نسبة الأمية أقل من ١%، رغم وجود أخطار تتهدد هذا العنصر من القوة مثل خطر التسرب من المدارس، وتمثل هذه النسبة العالية من التعليم عامل قوة لإحداث التنمية والتغيير، بل هي من أهم عوامل التنمية ، حيث أن الإنسان المتعلم هو الأقدر على الإنتاج الجيد كماً وكيفاً، والأقدر على استثمار القدرات البشرية والطبيعية إلى أقصى حد ممكن، والأقدر على توظيف التكنولوجيا الحديثة لتوفير الوقت والجهد، والأقدر كذلك على ترشيد الاستهلاك والمحافظة على الانجازات.

عناصر الضعف لدى الشباب الفلسطيني: أما عناصر الضعف فتتمثل في الضعف الثقافي من خلال العزوف عن القراءة والمطالعة للصحف والكتب، والمشاركة في الأنشطة الثقافية، بينما

يقبلون على أدوات التكنولوجيا الحديثة مثل التلفاز والانترنت والجوالات، رغم ما تحمله من سموم العولمة والتطبيع الثقافي مع الثقافة الغربية، ويرى الباحث" أن هناك أزمة ثقافية تعصف بالمجتمع الفلسطيني، مما يستوجب على المسئولين الرسميين والأهليين وجميع المهتمين بالثقافة أن يبادروا لتشخيص هذه الأزمة ووضع الحلول الناجعة لها، قبل أن تتلاشى الثقافة الفلسطينية من ساحة المواجهة مع العدو الصهيوني" (الجعب،١٢، ٢٠١٠).

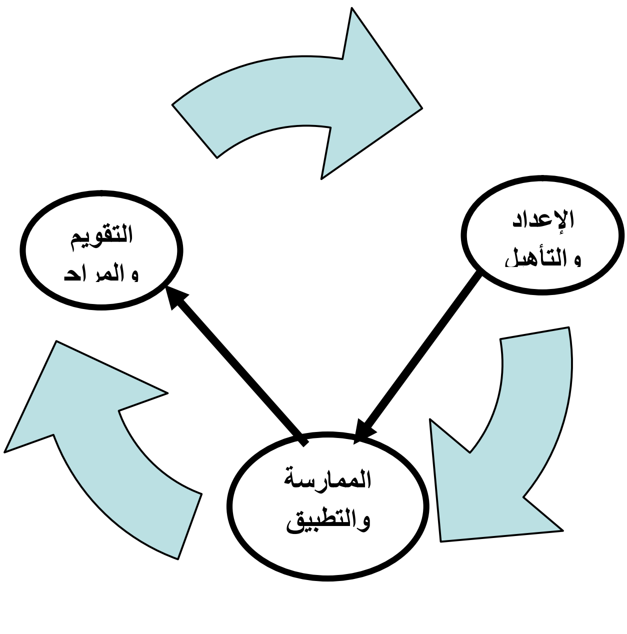
التحديات التي تواجه الشباب الفلسطيني: يواجه الشباب في عصر العولمة تحديات كثيرة، مثل الهوية والانتماء، التضليل الإعلامي والثقافي، البطالة، وهجرة العقول، والغزو الفكري، وآفات التدخين والمخدرات والجنس، وسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية في الواقع الفلسطيني، وعلى رأس ذلك الاحتلال الصهيوني أساس الأوضاع المتردية التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

الفرص المتاحة للشباب الفلسطيني: رغم أن الفرص المتاحة أمام الشباب الفلسطيني محدودة، إلا أن الشباب بما حباه الله من أسباب القوة العقلية والجسدية والنفسية، يستطيع أن يتغلب على التحديات، وينمي عناصر القوة، ويعالج عناصر الضعف، وتعتبر الثورات العربية بما يسمى بالربيع العربي؛ دليلاً على قدرة الشباب على التغيير والتأثير، ومن هنا فالفرص المتاحة للشباب هي في ذواتهم وقدراتهم، بأن يغيروا ما بأنفسهم من فكر خاطئ وسلوك منحرف، واتجاهات سلبية، ولن يتم ذلك إلا بتوجيه

المربين والمسئولين، وتشكيل مؤسسات شبابية من أجل التغيير، تأخذ بأيدي الشباب نحو الصلاح والإصلاح.

الإجابة عن السؤال الثالث: ما الرؤية المقترحة للتربية الإسلامية للشباب على ثقافة التغيير؟

تتشكل هذه الرؤية من ثلاث مراحل متدرجة ومتعاقبة ثم متزامنة أي بعد اكتمالها تسير جنباً إلى جنب،وتأخذ مساراً دائرياً في عملية مستمرة متجددة، ويمثلها الشكل التالي:



ويمكن تفصيل المراحل الثلاثة على النحو التالي:

أولاً: مرحلة الإعداد والتأهيل

ويقصد بها الباحث المرحلة التي يتم فيها تربية الشباب على ثقافة التغيير بإصلاح نفوسهم من خلال إحداث التغيير الإيجابي على ثلاث مستويات هي:

أ- التغيير الفكري:وذلك بتخلية الأفكار السلبية التي تتعارض مع الثوابت الإسلامية والوطنية، كرفض الدعوات الهدامة المعادية للدين كالشيوعية والعلمانية والوجودية وغيرها، وكذلك رفض الأفكار التي تدعو إلى التطبيع مع العدو الصهيوني وترك المقاومة، وأيضاً تحصين الشباب من أخطار العولمة التي تهدد ثقافتنا العربية الإسلامية.

ب- التغيير النفسي: وذلك بتغيير الاتجاهات والمشاعر القلبية السلبية إلى اتجاهات إيجابية كالتربية على التفاؤل بدل اليأس، والمحبة والأخوة بدل الشحناء والفرقة، والاعتماد على النفس بدل الاتكال على الآخرين، والشجاعة والمبادرة بدل الخوف والانطواء على الذات.

ت- التغيير السلوكي: ويعتبر التغيير السلوكي ثمرة ونتيجة للتغيير الفكري السابق، حيث يستبدل الشباب السلوكيات الخاطئة بالسلوكيات الإيجابية، فيستبدلون الفوضى بالنظام، والعفوية بالتخطيط، والأماني بالعمل، والانحراف بالاستقامة.

ثانياً: مرحلة الممارسة والتطبيق

وفي هذه المرحلة ينتقل الشباب من إطار النظريات والمثل إلى إطار العمليات والتطبيق، فيمارسون ما تعلموه ورُبُّوا عليه، فتسند إليهم المسئوليات في كافة ميادين الحياة ليقوموا بإحداث

عملية التغيير التي تعرفوا عليها من قبل، وبالطبع ليس من السهل امتلاك الشباب لزمام الأمور إلا إذا كان هناك وعي مجتمعي بضرورة تمكين الشباب من ذلك، وإلا فعلى الشباب أن يخوضوا معركة التغيير على بصيرة، ويتحملوا في سبيل ذلك التضحيات والآلام لحين تحقيق أهدافهم.

ثالثاً: مرحلة التقويم والمراجعة

وهذه المرحلة يلزم الأخذ بها بعد كل خطوة كبيرة لمعرفة هل نسير نحو المطلوب أم لا؟ وما الأخطاء التي حدثت ليتم تصويبها؟ وما الايجابيات التي تحققت ليتم تعزيزها؟ وتكون هذه المرحلة أشد ضرورة في مرحلة الممارسة والتطبيق، حيث تطرأ مفاجأت كثيرة في الميدان؛ تستلزم خطط بديلة ومرونة في التعامل معها، فالتقويم المستمر لمسيرة التغيير يجنبها الانحراف عن أهدافها، ويسدد خطوها للوصول إلى التغيير المنشود.

<u>النتائج:</u>

١. تعتبر مرحلة الشباب أهم مراحل حياة الإنسان ، لذا لا بد من حسن استثمارها وتوجيهها نحو التغيير للأفضل.

٢. يمكن للشباب أن يساهموا في عميلة التغيير الشاملة في المجتمع، سواء في الميدان التربوي والثقافي، أو السياسي والعسكري، أو الاقتصادي والاجتماعي.

٣. يمتلك الشباب أفضل مؤهلات التغيير، كالإيمان الشديد بالفكرة، والحماسة لنصرتها، والاستعداد للتضحية من أجلها.

٤. تواجه الشباب في طريق التغيير تحديات عديدة: مثل صراع الأفكار، والتقاليد الاجتماعية المعيقة، وضعف الامكانات، ومؤامرات التذويب الثقافي والأخلاقي.

٥. لثقافة التغيير من منظور التربية الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها من ثقافات التغيير العالمية، حيث تتميز بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، واحترام التعدد، والتعاون الجماعي، والحفاظ على المبادئ، وأنها إنسانية.

٦. يمتلك الشباب الفلسطيني عناصر قوة في طريق التغيير كونهم أغلبية سكانية متعلمة، لكنهم في ذات الوقت تعتريهم بعض عوامل الضعف، كالضعف الثقافي، والاقبال على التكنولوجيا دون تحصين، إضافة إلى مخاطر المخدرات والانحرافات الخلقية.

٧. يمكن للمؤسسات التربوية أن تستفيد من واقع الشباب الفلسطيني، لإعداد جيل البناء والتحرير، بشرط تعاونها ورسم خطط مشتركة بينها، تساهم فيها الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام، وسائر مؤسسات المجتمع.

٨. لتربية الشباب على ثقافة التغير لا بد من المرور بثلاث مراحل هي: مرحلة الإعداد والتأهيل، و مرحلة الممارسة والتطبيق، و مرحلة التقويم والمراجعة.

التوصيات:

١. اعتماد الدولة لإستراتيجية تربوية لتربية الشباب على ثقافة التغيير، تقوم على المراحل الثلاث السابقة.

٢. تبني وزارة التربية والتعليم للإستراتيجية السابقة، بتخصيص مواد دراسية لبناء وتدريب القيادات الشبابية من بدايات مراحل التعليم الأساسي في خطوات متصاعدة للمراحل العليا والجامعية.

٣. انفتاح القيادات المجتمعية بكل صورها على الشباب لتوريثها التجربة، وتوجيهها وصناعة قيادات شبابية جديدة، ويمكن أن يتم ذلك من خلال الجامعات والمدارس والمنتديات الثقافية والمؤسسات الأهلية.

٤. إتاحة الفرص للمشاركة السياسية والميدانية لقيادات الشباب وإكسابهم الخبرات العملية للتغيير.

٥. تبني المجالس التشريعية والنيابية لقانون الشباب، والذي يتيح لهم فرص المشاركة في بناء المجتمع وصناعة التغيير، وصيانة حقوقهم وتوفير احتياجاتهم.

٦. تصميم مقياس تربوي للكشف المبكر عن الشباب المؤهل للقيادة في ميادينها المختلفة، تستخدمه الأسرة والمدرسة والمسجد والجامعة وغيرها من المؤسسات الأهلية.

٧. تخصيص مدارس وكليات جامعية لتربية كوادر الشباب على ثقافة التغيير، وربط المناهج النظرية بالتدريبات العملية الميدانية لتأهيل القيادات الشابة.

المراجع

١. ابن عبد البر ، يوسف(١٩٩٤): جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيرى، الطبعة الأولى دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية
٢. ابن قيم الجوزية، محمد(١٤٣٢): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، مجمع الفقه الإسلامي – جدة.
٣. ابن هشام، عبد الملك (١٩٩٠): السيرة النبوية، تحقيق: عمر تدمري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٤. أبو دف، محمود خليل (٢٠٠٧): مقدمة في التربية الإسلامية، مكتبة آفاق، غزة .
٥. أبو دف، محمود و الأغا، محمد (٢٠٠١): التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في مواجهته، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد التاسع – العدد الثاني.
٦. بادحدح ،علي بن عمر : الشباب بين الحماسة والكياسة ، موقع إسلاميات ، www .islameiat.com/mai بتاريخ ٣\٤\٢٠٠٧م.
٧. البنا، حسن (١٩٩٢) : مجموعة الرسائل ، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر
٨. البنك الدولي: تقرير التنمية في العالم لعام ٢٠٠٧: التنمية والجيل التالي، http://wbln٠٠١٨.worldbank.org/MNA/ArabicWeb. nsf ،
٩. تقرير للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الصادر بتاريخ ١١-٨-٢٠١١ ، بمناسبة اليوم العالمي للشباب ٢٠١١
١٠. الجعب، نافذ (٢٠٠٦): منهج التغيير الإسلامي ،دراسة تطبيقية لمنهج التغيير في عهد عمر بن عبد العزيز ،ط١،منشورات آفاق ، فلسطين ،غزة، .

١١. الجعب، نافذ (٢٠١٠): دور الثقافة في التنمية الشاملة للمجتمع الفلسطيني، المؤتمر السنوي الثاني لوزارة الثقافة الفلسطينية " نحو نهضة ثقافية"، غزة، فلسطين.
١٢. الجعب، نافذ (٢٠١١): دور الشباب في عصر العولمة ، وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، مديرية التربية والتعليم –رفح، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الشباب ثقافة الأمس وفكر المستقبل.
١٣. الجعب، نافذ سليمان (٢٠٠٩): المتطلبات التربوية للتنمية البشرية في قطاع غزة- رؤية من منظور إسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر.
١٤. الجمل، محمد كامل (٢٠٠٩): ملامح الخطاب التربوي من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
١٥. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠١١ . مسح الهجرة في الأراضي الفلسطينية، ٢٠١٠ . التقرير الرئيسي، رام الله – فلسطين.
١٦. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، . ٢٠١٦ مسح الشباب الفلسطيني ٢٠١٥ ، النتائج الرئيسية، رام الله ـ فلسطين.
١٧. الحلبي، علي بن برهان الدين (٢٠٠٢): السيرة الحلبية (انسان العيون في سيره الامين المأمون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٨. الحمد، جواد (٢٠١١): دور الشباب في التغيير، مجلة السبيل الأردنية، ٢٢ مايو ٢٠١١، الأردن، موقع
http://www.assabeel.net
١٩. الخضري، محمد (٢٠٠٤): نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ط١، تحقيق : هيثم هلال، دار المعرفة بيروت- لبنان.
٢٠. الدويش، محمد بن عبد الله (٢٠٠١): تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢١. السلوادي، حسن (٢٠٠٨): الثقافة والتغيير في العالمين العربي والإسلامي: تحديات وفرص، جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع١٤، فلسطين.
٢٢. شبير، وليد شلاش (١٩٨٩): مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها- دراسة نظرية وميدانية، رسالة ماجستير منشورة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١.
٢٣. شحاتة، حسن – النجار، زينب (٢٠٠٣): معجم المصطلحات التربوية والنفسية ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١.
٢٤. الشنقيطي، الطيب أحمد (١٤٢٩هـ): الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم في ضوء التحديات المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٢٥. الشيخ، ممدوح (٢٠٠٣): استحقاقات الشيخوخة تهز فرنسا هزا، موقع دار ناشري، http://www.nashiri.net بتاريخ ٢٠١٧/٧/١٣.
٢٦. الصوفي، حمدان (٢٠٠٤): تصور تربوي مقترح لمواجهة أخطار استخدام شبكة الانترنت لدى فئة الشباب، المؤتمر التربوي الأول"التربية في فلسطين وتغيرات العصر" (٢٣-٢٠٠٤/١١/٢٤)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.
٢٧. ضليمي، أحمد عبد الفتاح (١٤١٢ ه): تربية الشباب في الإسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
٢٨. علام، اعتماد (٢٠٠٣): الشباب المتلقي بين ثقافة العولمة والثقافة العربية؛ رؤية تحليلية، مجلة فكر وإبداع، ج١٨، رابطة الأدب الحديث، القاهرة، مصر.
٢٩. علوان، عبد الله ناصح (٢٠٠٦): الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار السلام، القاهرة، مصر، ط١.

٣٠. علي، ،سعيد إسماعيل(٢٠٠٥): أصول التربية الإسلامية، دار السلام، القاهرة.
٣١. العيد، سليمان (١٩٩٤): المنهج النبوي في التربية الإيمانية للشباب، والاستفادة منه في العصر الحاضر، موقع الألوكة، الموقع الشخصي لسليمان العيد، www.alukah.net/
٣٢. العيد، سليمان (٢٠٠٧): الحاجات الدعوية للشباب، بحث مقدم للملتقى الأول للدراسات الدعوية، موقع الألوكة، الموقع الشخصي لسليمان العيد، www.alukah.net/
٣٣. الغالي، أحرشاو (١٩٩٣): الشباب العربي والممارسة الثقافية المأمولة، شؤون عربية، ع ٧٥، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر.
٣٤. فايد، عبد السلام (١٩٨٦): تربية الشباب في الفكر الإسلامي والعالمي المعاصر، مجلة التربية، جامعة الأزهر، ع٦، السنة الرابعة، القاهرة، مصر.
٣٥. القاضي، سعيد علي (٢٠٠٤): التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة.
٣٦. المبيض، عرفات سليم (٢٠٠٦): ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة.
٣٧. محجوب، عباس(١٤٠٦هـ): ،مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي ، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ،الدوحة، قطر.
٣٨. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني ، السلطة الوطنية الفلسطينية ، الموقع الالكتروني ٢-٢٠٠٧.htm www.pnic.gov.ps .
٣٩. UNESCO (٢٠٠٤): UNESCO's commitment to Youth: The Youth forum,

المنتدى التربوي بالتعاون مع جمعية نظير للتنمية رفح

ورقة عمل لليوم الدراسي "الشيخ نظير اللوقة.. رجل الكلمة والفعل بعنوان:

مضامين تربوية في خطاب الشيخ نظير اللوقة

٢٠١٢/١/١

ملخص ورقة

مضامين تربوية في خطاب الشيخ نظير اللوقة[1]

تهدف هذه الورقة إلى الكشف عن بعض المضامين التربوية التي تضمنتها مجموعة من خطب الشيخ نظير اللوقة –رحمه الله- من خلال تحليل محتواها ، وسيتناول الباحث هذه المضامين في أربع محاور هي:

التربية الروحية والأخلاقية، التربية العقلية، التربية الاجتماعية، التربية الوطنية، كذلك سيمهد الباحث لورقته بالحديث عن مؤهلات الشيخ التربوية والإصلاحية كالفهم الوسطي للإسلام وفهم الواقع والجهر بالحق ، تنوع أساليب الخطاب التربوي، ويختتم الباحث ورقته بمجموعة من النتائج والتوصيات.

١ ورقة عمل مقدمة لليوم الدراسي الذي أقامه المنتدى التربوي بالتعاون مع جمعية نظير للتنمية رفح بعنوان: "الشيخ نظير اللوقة.. رجل الكلمة والفعل" ، بتاريخ ٢٠١٢/١/١.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الدعوة إليه أعلى المقامات، واختار رسوله محمداً صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعياً لأسمى الرسالات، والصلاة والسلام على نبي الهدى، وصفوة الورى، ورضي الله عن صحابته الذين فتحوا الدنيا دعاة هداة فنشروا الضياء، وهتكوا حجب الظلماء، وبعد:

لقد تكفل الله بحفظ الإسلام إلى يوم القيامة، من خلال حفظ منابعه الأصيلة من التحريف والانتحال والتأويل الباطل، وانتدب لذلك رجالاً علماء من أمة محمد (صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، لا تقر لهم عين ولا يهدأ لهم بال حتى يروا دينهم غضاً طرياً صافياً نقياً كما أنزل، وفي هذا يقول النبي (صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): **" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين "** رواه البيهقي ، ومادام أن المرجعية الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة محفوظة بجهود هؤلاء العلماء العدول، فإن همتهم لا تقف عند هذا الحد، بل تتعداه لإحياء هذه الشريعة في حياة المسلمين وتجديد أحكامها في كل الميادين، فتنفض عن الأمة الذل والهوان، والتخلف والضياع، والفرقة والشتات، ويؤكد ذلك ما قاله النبي (صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) رواه أبوداود.

وعلى أرض فلسطين نبغ الكثير من العلماء والدعاة الذين تركوا بصماتهم واضحة، وتربت على تراثهم الأجيال، ونهلت من

معينهم الثر ومضت على خطاهم في صراط مستقيم، ففلسطين أنجبت أمثال الشافعي والصفدي ومحمد دروزة وعبد الله عزام وغيرهم الكثير.

ويأتي شيخنا الشهيد "نظير اللوقة" كواحد من فرسان الكلمة الحق، طالما صدح بها من منبر مسجد بلال بن رباح، وغذى بها كتبه وبياناته التي كانت تواكب الأحداث أولاً بأول، يبشر وينذر، يشرح ويوضح، يبرهن ويحاجج، انطلاقاً من شعوره بالمسئولية والأمانة التي أخذها الله على العلماء في قوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ" (آل عمران،١٨٧).

لم يقف الشيخ عند حد القول والكلمة والبيان، بل زاوج بينها وبين العمل الميداني الاجتماعي والدعوي من خلال بناء المساجد والمستشفيات وإصلاح ذات البين ومساعدة ذوي الحاجات من الأرامل والمساكين، ومات وعليه ديون كثيرة بسبب هذا العمل الخيري ولم يكن ديناً شخصياً عليه، مما يدل على أنه كان رجلاً ربانياً -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً- عاش حياته لله وللدعوة، وكرس وقته لذلك، رغم قلة ذات اليد فلم يوافق الشيخ نظير على أن يكون موظفاً في وزارة الأوقاف يتقاضى راتباً شهرياً رغم حاجته لذلك، ولعل هدفه من ذلك أن تكون كلمته حرة لا يقيدها أحد ولا تتلون لهذا أو لذاك، وهذا ما جعل الجميع تحت طائلة نقده ونصحه حتى الذين أحبهم ومدحهم.

وفي هذه الورقة يتناول الباحث بعض المضامين التربوية في خطاب الشيخ الشهيد من خلال تحليل محتواها ، وسيتناول الباحث هذه المضامين في أربع محاور هي:

التربية الروحية والأخلاقية، التربية العقلية، التربية الاجتماعية، التربية الوطنية ممهداً لذلك بحديث عن مؤهلات الشيخ التربوية والإصلاحية كالفهم الوسطي للإسلام وفهم الواقع والجهر بالحق ، تنوع أساليب الخطاب التربوي، ويختم الباحث ورقته بمجموعة من النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

المؤهلات التربوية للشيخ نظير اللوقة

يعتبر الشيخ نظير –رحمه الله- نموذجاً للداعية المسلم الذي اتصف بالصفات الحقيقية للدعاة الناجحين، فكان صاحب رسالة وقضية، يسعى لإبلاغها للناس بوسائل عديدة منها: الخطابة والدرس والكتاب والبيان، والشريط والفيديو، كذلك من خلال بناء المساجد والمستشفيات، والعمل في لجان الإصلاح، وتقديم المساعدات للمحتاجين وتزويج الشباب إلى غير ذلك من الوسائل التي اعتمد عليها، واختتم حياته بالشهادة وهو يصلح بين الناس ، ومن هنا كان رجل الكلمة والفعل بحق واقتدار.

ونعرض هنا لبعض المؤهلات التربوية التي اتصف بها الشيخ، وكانت من عوامل نجاحه وإقبال الناس عليه، والتأثر بخطابه ومواقفه، ويقصد الباحث هنا بالمؤهلات التربوية "الصفات والقدرات التي تمتع بها الشيخ، وأدت إلى نجاحه كداعية بالقول والفعل".

١-**<u>الإحساس بالمسئولية و المعرفة بالواقع</u>**: تميز الشيخ نظير بالمعرفة الدقيقة للواقع الفلسطيني ، من خلال متابعته للأحداث بشكل مباشر وتعليقه عليها في خطبه وبياناته ومنها: قضايا الانتفاضة الأولى كالردع وقتل العملاء، والصراع بين الاتجاهات، التعليم ولجان الامتحانات، الخلاف على يوم الإضراب الشهري ٨أو ٩ من كل شهر، وإقامة الوكالة للمستشفى

الأوربي الذي حاول البعض إقامته في غزة فدعا لإقامته في الجنوب.

وعلى المستوى العالمي اهتم بطرح قضايا العالم الإسلامي كاغتيال الرئيس الباكستاني ضياء الحق، والدكتور رفعت المحجوب في مصر، وأطماع أمريكا في الخليج، والغزو الفكري وموجة التقليد للغرب.

<u>الاطلاع العلمي الواسع:</u> من يستمع أو يقرأ خطب وكتب وبيانات الشيخ نظير يجد لديه سعة في الاطلاع، والتمكن العلمي من الموضوع الذي يتناوله، فخطابه ليس خطاباً إنشائياً مطرزاً بالمحسنات والبديع من القول الذي لا يتضمن علماً وفائدة، بل هو خطاب مليء بالعلم والبراهين المعرفية والإحصاءات والوقائع الدالة، ناهيك عن تطعيم ذلك كله بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والشواهد من الشعر الرصين وأقوال السلف الصالح وأهل الحكمة.

<u>الفهم الوسطي:</u> لم يكن الشيخ –رحمه الله- داعية للتطرف والمغالاة في الأخذ بالشريعة الإسلامية، بل كان داعية للتيسير والتبشير، والتوسط في فهم أحكام الإسلام، وتنزيلها على الواقع الفلسطيني بتعقيداته وظروفه الصعبة، ولذا كان له موقف من قضية قتل العملاء في الانتفاضة الأولى فدعا إلى فتح باب التوبة لهم، وعدم جواز قتل من تاب منهم، وإعلان البراءة لمن كان بريئاً، وعم جواز انتزاع الاعتراف منهم عن طريق التعذيب، والتوقف عن عمليات القتل ودراسة كل حالة دراسة واعية

ودقيقة، ومما ورد في خطبة له بعنوان "الأمة الوسط" قال فيها: " فنحن أمة وسط، أمة معتدلة.. ليس فينا متطرف، وليس فينا متعصب، بل قمة الاعتدال تراها في الأمة الإسلامية"، وكان منصفاً حتى للمخالفين له في المنهج فكتب بيان رقم ١١٤ – المقاومة اللبنانية حزب الله اللبناني ..... كلمة إنصاف.

<u>داعية الوحدة:</u> كان من عوامل التفاف الناس وحبهم للشيخ نظير -رحمه الله- نظرتهم إليه أنه داعية إسلامي لا ينتمي إلى تنظيم أو حزب معين[١]، فحين يتحدث ويدعو فهو يفعل ذلك من نظرته الخاصة وليس تأييداً لجهة أو تنظيم ما، وهذا التوازن والحياد في شخصية الشيخ؛ جعلته قادراً على توجيه النصح للجميع من تنظيمات إسلامية ووطنية، ومن جهة أخرى عمل الشيخ على الدعوة إلى وحدة الصف الفلسطيني، فدعا في خطبه إلى تحكيم الشوري بين الفصائل الفلسطينية لإدارة الانتفاضة الأولى ١٩٨٧، واعتبر أن الاختلاف لا يوجب العداوة، وأن الفكر يعالج بالفكر وليس بالعنف، ودعا إلى توحيد يوم الإضراب الشهري للتخفيف على الناس.

<u>القدرة على التأثير في الآخرين:</u> يعد الشيخ نظير في أعين الناس خطيباً ليس عادياً، حيث كانوا يقبلون عليه للاستماع لخطبته يوم الجمعة من كل أنحاء رفح وخان يونس وربما مناطق أخرى، وبعد الخطبة يتداول الناس في أحاديثهم الخاصة ما قاله الشيخ من

---

[١] هناك شهادات عديدة على أن الشيخ نظير بايع دعوة الإخوان المسلمين على يد الشيخ سيد أبو مسامح على أن يبقى ذلك سراً.

مواقف إزاء مجريات حياتهم، لأن خطب الشيخ كانت خطباً حية تمس حاجات الناس، وتساير واقعهم.

والمستمع لخطب الشيخ يجد لديه القدرة على التأثير في الآخرين، فهو صاحب صوت هادر، ولغة قوية، وحجة بالغة، وتفاعل حركي مع ما يقوله ويدعو إليه، علاوة على حياديته وعدم تحيزه إلا للحق.

<u>الجرأة في قول الحق:</u> كان الشيخ –رحمه الله- لا يخشى من قول الحق، ولو تعرض في سبيل ذلك إلى القتل، ولذا تحمل في سبيل كلمة الحق السجن لدى الاحتلال الصهيوني، وسلطة أوسلو، وتلقى تهديدات عديدة من حركة فتح، وتم قطع رواتب من يحضر خطبه، ومن الشواهد على هذه الجرأة بيان ١٣٤ – الحرية للصحفي.. ألان جونستون... إلى الأخوة في جيش الإسلام، ونقد الرئيس الفلسطيني –عباس- في بيان رقم ١٣٣ – كلمة .. حول خطاب الرئيس الأخير..

<u>الوفاء:</u> تميز الشيخ بالوفاء لأهل الفضل من المعلمين والوجهاء، فكتب بيان رقم ١٦٦ كلمة وفاء في مناسبة رثاء حول وفاة السيد: محمد محمود زعرب. (أبو إياد).. ، و بيان ١٣٩ – أستاذنا الفاضل/ محمد عطوة زعرب (أبو خالد).. في ذمة الله...، وبيان ١٣١- الأستاذ الفاضل.. حمدي عبد الله (أبو هشام... في ذمة الله) لمسة وفاء ، وبيان رقم ١٤٧ الشاب: علاء علي بارود... في ذمة الله.

المبحث الثاني

مضامين تربوية في خطاب الشيخ نظير اللوقة –رَحِمَهُ ٱللَّهُ-

من خلال تحليل مجموعة من خطب الشيخ يمكن التوصل إلى بعض المضامين التربوية التي تضمنتها، ولتصنيفها علمياً سيتم تقسيمها إلى أربع مجموعات تربوية هي: التربية الروحية والأخلاقية، التربية العقلية، التربية الاجتماعية، التربية الوطنية.

أولاً: التربية الروحية والأخلاقية

ويقصد بها الباحث "مجموعة القيم التي تستهدف تزكية النفوس بتعميق الإيمان فيها، وتقويم السلوك بتعزيز الأخلاق الفاضلة"، وتتمثل فيما يلي:

تعظيم الله عز وجل: فكل خطبه تبدأ بحمد الله والتعظيم لصفاته وأسمائه الحسنى، والتذكير بآياته المنبثة في تضاعيف الكون والنفس البشرية، وأن كل ما صدر عن الله فهو كبير وعظيم، ويظهر ذلك جلياً في خطبه التي تتناول المناسبات الإسلامية كالعيد ورمضان والحج والهجرة وغيرها.

التذكير باليوم الآخر: فتضمنت الكثير من خطبه الحديث عن الموت، والزهد في الدنيا، وتداول الأيام، وكذلك الحديث عن الجزاء في الآخرة من جنة ونار.

حقيقة السعادة : ليست السعادة في المال أو الجاه أو المنصب أو غير ذلك من متاع الدنيا، إنما السعادة الحقيقية في الإيمان بالله،

وإصلاح النفس فكتب بيان رقم ١٣٧- احذر أن تكون مريضاً وأنت لا تعلم!...

<u>الأمانة والصدق:</u> حيث دعا الشيخ في العديد من خطبه إلى الصدق فكتب بيان رقم ١٢٣ – نجاتك في الصدق، ونبه إلى ضرورة اتقان الصلاة وعدم السرقة فيها فكتب بيان رقم ١١٣ – هل نحن نصلي فعلاً .. أم نقوم بحركات تشبه الصلاة؟!، وحذر الناس من التسرع في اتهام الآخرين فكتب بيان رقم ١٣٨- (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)، وحذر كذلك من سرقة الكهرباء والمياه، والحفاظ على الممتلكات العامة، ومن ذلك نقده للناس الذين استولوا على شاحنة الزيت التي جاءت لتموين أهل مدينة رفح في شهر٦/١٩٩٠ .

<u>التفاؤل:</u> رغم الظروف الصعبة التي مر فيها الشعب الفلسطيني، والحصار المفروض على قطاع غزة، إلا أن الشيخ كان يبث الأمل والتفاؤل بالنصر والفرج، فكتب بيان رقم ١١٧ – إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرَاً...وبيان رقم ١١٨ – ما دَام هُنا رَبٌّ... فلا كَرب... وبيان رقم ١٦٢ الحصار إلى انحسار، والنصر مع الصبر..

<u>عناصر اليقظة:</u> تحت هذا العنوان تحدث الشيخ في خطبة له عن العناصر الثلاثة ليقظة الأمة الإسلامية؛ وهي تلاوة كتاب الله أي السير على منهجه القويم، وعنصر التربية و تزكية النفوس بتهذيبها بالأخلاق الفاضلة أما العنصر الثالث فهو عنصر العلم والتعليم.

ثانياً: التربية العلمية والعقلية

يقصد بها الباحث "تلك التربية التي تشكل العقل على منهاج البحث العلمي والاحتكام للحجة والبرهان، بعيداً عن العاطفة والهوى" .

ركز الشيخ في الكثير من خطبه على معالم التربية العقلية، ودعا إلى معالجة الفكر بالفكر وعدم اللجوء إلى العنف، والأخذ بالشورى في تسيير شئون المجتمع الفلسطيني، وعدم احتكاره من قبل فئة أو تنظيم، ولا نغفل الخطب الكثيرة التي تناول فيها قضية التعليم وما يتصل بإصلاحه، ومحاربة الغش في الامتحانات، وعوامل تدمير التعليم، ودور العلم في نهضة الأمة، وهاجم التطرف والانغلاق الفكري، وتناول كذلك الغزو الثقافي والفكري للأمة الإسلامية من قبل الغرب، ودعا إلى الاهتمام بتعليم المرأة المسلمة، وتناول في خطبة خاصة موضوع التربية العقلية التي اعتبر أنها تقوم على ثلاث ركائز هي: التعليم والتوعية الفكرية والصحة النفسية.

وبين أهمية العلم في الصراع مع الصهاينة ودوره في تحرير الأرض، فكتب بيان رقم ١٤٨ الكيمياء والسياسة .... تسعون عاماً على وعد بلفور، في إشارة إلى دور الاكتشاف العلمي لمادة الأسيتول التي اكتشفها اليهودي"حاييم وايزمن" وقدمها للبريطانيين مقابل وعد بلفور.

ثالثاً: التربية الاجتماعية

يقصد بها الباحث "تلك التربية التي تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع الفلسطيني على أسس الاحترام المتبادل والأخوة والتسامح والتعاون".

إن المحلل لخطب الشيخ نظير؛ يجد أنها خطب اجتماعية بامتياز، فالموضوع الاجتماعي هو لب وهدف أغلب خطبه، أما المواضيع الأخرى فتمثل مداخل أو نتائج للموضوع الاجتماعي، وكانت بياناته المستمرة التي أصدرها معالجة للقضايا الاجتماعية بشكل واضح، لأنها كانت استجابة للأحداث التي تجري على الساحة الفلسطينية.

ومن القضايا الاجتماعية التي تناولها في خطبه وبياناته موضوع الانتفاضة الأولى وما يتصل بالإضرابات ،وقتل العملاء، و الخلافات بين حماس وفتح، والحفاظ على المسيرة التعليمية، وتجارة الأراضي، و احتكار السلع وقت الأزمات.

رابعاً: التربية الوطنية

يقصد الباحث هنا بالتربية الوطنية؛ "تلك التربية التي تكرس حب الوطن في النفوس، وتدفع أصحابها للدفاع عنه، والحفاظ على تراثه وثقافته من الغزو الغربي والتطبيع الصهيوني".

وعند تحليل خطب الشيخ الشهيد نجد أن هناك مساحة واسعة للحديث عن فلسطين وضرورة الدفاع عنها، وحمايتها من المغتصبين الصهاينة، وكذلك حمايتها من الغزو الثقافي الغربي، خاصة في مجال التعليم، حيث تحدث في خطبة له عن سياسة

دنلوب البريطاني التعليمية التي طبقت في مصر ثم العالم العربي منذ أيام الاحتلال البريطاني لمصر أوائل القرن العشرين.

الحوار والوحدة الوطنية وفي هذا المجال تناول في عدة بيانات له وخطب الحوار الفلسطيني الفلسطيني، والذي اعتبر غيابه نكبة فقال "إنَّ نكبتي.. كانت عندما وُجِد عفنٌ في العقول، وتمَّ تجاهل الفروع والأصول، حيث وُجد في أُمتنا مَن لا يؤمن بالحوارِ الهادف البنَّاء، إنما بشَطْبِ الآخر وإن كان مُسلماً تقياً، ورعاً نقياً، مُبرأً من العُيوب، مُجتنباً كبائرَ الإثمِ والفواحشَ إلا اللممَ. وكتب (بيان رقم ١٦٧) بعنوان: كلمة حول الحوار الفلسطيني .. الفلسطيني، وبيان ٢١٠ بعنوان: من يفشل جهود المصالحة، ودعا إلى الوحدة الوطنية واحترام الرأي الآخر واعتماد الحوار بين التنظيمات بدل العنف، فكتب بيان رقم ١٣٥ – الحقُّ المرُّ ..حول أحداث غزة وتداعياتها، وبيان ١٢٨- بياناتُ السِّبابِ والشتائم.. نتائجها عكسية، وتزيد الأمور تعقيداً، وبيان رقم ١٢٦- حتمية الاتفاق، وبيان رقم ١٢٤ – لَمْ أَعُدْ أَحْتَمِلُ!!.

تأييد الحركة الإسلامية: حيث اعتبرها كما قال: "إنَّ الحركة الإسلامية كَنزٌ في القطاع، ونورٌ في فلسطين وضياء في العالم العربي والإسلامي، فلقد سطعتْ شمسُ حقيقتها فأنارت كلَّ ظلام، وبدَّدت الأوهام، ومارَسَتْ إسلامَها بالحقيقة لا بالخيال والأحلام"، ومن هنا أظهر تأييده لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في عدة بيانات منها بيان ٢١٩ عن الانطلاقة المباركة، وبيان ١٦٩ بعنوان : لماذا ندافع عن الحركة الإسلامية، وبيان ١٦٥ بعنوان: مظاهر الحقد على الحركة الإسلامية، وبيان ١٦٣ بعنوان:

الحركة الإسلامية والحصار، وبيان رقم ١٥٢ ذكرى الانطلاقة المباركة العشرين، ودعا إلى نصرتها في بيان رقم ١٤٠ – اتَّقُوا الله في الشعب الفلسطيني.. واتقوا الله في الحركةِ الإسلامية. ومن روائع ما كتبه حول الحركة الإسلامية بيان رقم ١٢٢- ما أجملَ هذه العصابةَ! والذي تبنته حركة حماس وقامت بنشره على شكل كتيب.

<u>مساندة الحكومة الفلسطينية المجاهدة في غزة:</u> فأيد في خطبه وبياناته رئيس الوزراء "إسماعيل هنية" فكتب بيان رقم ١٥٧ الأستاذ/ إسماعيل هنية...يُريدون أنْ يَقْتُلوك..، وبيان رقم ١٤١ الأستاذ إسماعيل هنية أهلاً بك ومرحباً في مسجد بلال بن رباح، وأيد خطوات الحكومة في بيان رقم ١٣٦- القوة التنفيذية... إلى الأمام.. في حفظ الأمن والنظام.

<u>نقد تيار التفاوض:</u> حيث هاجم تيار المفاوضات والتطبيع مع الصهاينة فكتب بيان رقم ١٣٠ – إلى.. السيد/ محمود عباس (أبو مازن) رئيس السلطة الفلسطينية، وبيان رقم ١٦١ بعنوان إلى حكومة المقاطعة..!! في رام الله، وهاجم الدور الأمني المشبوه لها في بيان رقم ١٥٨ استشهاد الشيخ مَجْد عبد العزيز البرغوثي داخل سجون السلطة الفلسطينية، وبيان رقم ١٥١ مَنْ هَم الظَّلاميون؟!!..وبيان رقم ١٥٠ فلتسقط المؤامرة... ووجه النصح لحركة فتح في بيان رقم ١٥٤ كلمة.. بمناسبة انطلاقة حركة فتْح.

وهاجم كذلك من يقفون مع هذا التيار في غزة بالاستنكاف عن العمل كما ورد في بيان رقم ١٤٣ كلمة إلى الإخوة الأطباء

والممرضين الذين يخرجون من العمل، أو الذين يقاطعون المساجد التي يخطب فيها دعاة حركة حماس ويصلون في الساحات فكتب بيان رقم ١٤٥ تعليقاً على ما حدث بعد صلاة الجمعة في الساحات ، وبيان رقم ١٤٤ تعالَوا ... نتحاور علمياً حول صلاة الجمعة في العراء...

مهاجمة الاحتلال الصهيوني: ولم ينس الشيخ بؤرة الصراع الرئيسة مع الكيان الصهيوني، فلم يترك فرصة إلا وحرض على مواجهة الاحتلال وتعريته من الادعاءات المزيفة التي ينسب نفسه إليها، فكتب بيان رقم ١٦٠ رسالة إلى الديمقراطية الإسرائيلية!!، وندد بنازيتها وجرائمها فكتب بيان (١٧٦) حول تداعيات مجزرة شاطئ غزة ، وهاجم حلفاء إسرائيل فكتب بيان رقم ١٢٠ – هذا هو "بُوش" الذي يتسابق كثيرون إلى موافقته ورضاه!!، ودعا إلى المقاومة وإحياء جذوة الجهاد لتحرير الأرض ، فكتب بيان رقم ١٠٩-الأرض في خطر، و بيان رقم ١٢٥ حول النكبة... (٥٩)، وفي نفس الوقت كان له فهم سياسي بضرورة توظيف الجهاد لمصلحة الشعب الفلسطيني وليس ضده فكتب بيان رقم ١٧٠ – كلمةٌ حول التهدئة..

وبعد هذا الاستعراض الموجز لبعض المضامين التربوية في خطاب الشيخ الشهيد "نظير اللوقا –رحمه الله- ، يتبين لنا روعة الدور الذي كان يضطلع به في مجال الدعوة والإصلاح، وأن هذا الداعية لم يحمل الدعوة كترف علمي، أو من أجل الدعاية والفخر، بل كانت الدعوة لديه هماً عظيماً، وأمانة ضخمة استنفدت

منه حياته، وملكت عليه عقله، وكانت له منهجاً ومرشداً في دروب حياته يصدر عنه في مواقفه وآرائه.

النتائج والتوصيات:

من خلال العرض السابق يتبين لنا ما يلي:

١. تمتع الشيخ بمؤهلات تربوية أدت إلى نجاحه في طريق الدعوة والإصلاح، ومن هذه المؤهلات: الإحساس بالمسئولية و المعرفة بالواقع، الاطلاع العلمي الواسع، الفهم الوسطي

٢. داعية الوحدة، القدرة على التأثير في الآخرين، الجرأة في قول الحق، الوفاء.

٣. اتسم الخطاب الدعوي للشيخ بالطابع التربوي الإصلاحي في كل المواضيع التي تناولها، حيث كان يربطها بالدين والتوجيه الرباني والنبوي.

٤. كان الشيخ داعية للوحدة الوطنية حريصاً على سلامة الصف الفلسطيني لمواجهة الاحتلال الصهيوني.

٥. حرص الشيخ على حماية الشعب الفلسطيني من الغزو الثقافي في ميدان التعليم والإعلام، وعمل على توعية الفلسطينيين بمخاطر ذلك.

٦. تمتع الشيخ بروح نقدية علمية من حيث المنهج والحجة واحترام الراي الآخر، والدعوة للحوار لا العنف.

٧. اعتبر الشيخ أن المعركة الأساسية للشعب الفلسطيني هي معركته مع الاحتلال، لذا يجب صرف الجهود كلها نحو ذلك.

٨. تميز خطاب الشيخ بالواقعية من حيث مناسبة الخطاب للواقع، ونقد الواقع بالأسلوب العلمي والإصلاحي الوسطي.

٩. تنوع وسائل الخطاب الدعوي للشيخ حسب الحال التي يتطلبها الخطاب، كان سبباً لنجاحه، حيث تنوعت هذه الأساليب ما بين درس، وخطبة، وبيان، وكتاب، وإصلاح ذات البين، ومساعدات للمحتاجين، وبناء للمساجد، والمستشفيات، وتزويج للشباب، إلى غير ذلك من الوسائل الدعوية.

التوصيات: يوصي الباحث بما يلي:

١. إعادة نشر تراث الشيخ المقروء والمسموع والمرئي؛ كمشروع ثقافي دعوي يتم تبنيه من جهات داعمة، وذلك بكل صور النشر الممكنة، محلياً وعالمياً.

٢. دعوة الباحثين إلى مزيد من تقديم الدراسات العلمية على دراسات الشيخ وأساليبه ووسائله الدعوية.

٣. بناء معهد الشيخ نظير لإعداد الدعاة، يتضمن مواد دراسية وتدريبية تقتفي أثر الشيخ.

٤. الاستفادة من ريع نشر تراث الشيخ وتبرعات أخرى لكفالة بعض الدعاة الذين يتتلمذون على تراثه ويقتدون بطريقته.

وأخيراً : فإننا نعتقد أن مشروع إعداد دعاة أمثال الشيخ الشهيد "نظير اللوقة" –رحمه الله- يجب أن يمثل هدفاً استراتيجياً للأمة المسلمة، ذلك أن هؤلاء يمثلون الرواحل الذين يحملون الأمة في طريقها نحو السيادة والحضارة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

صدر للمؤلف

١. منهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز.
٢. منهج التغيير عند الإمام الشهيد احمد ياسين
٣. أخلاقيات مهنة التعليم
٤. تربية الطفل في الإسلام (بالاشتراك)
٥. ثقافة المقاومة ..النظرية والتطبيق ج١
٦. دليل المربي في التربية القرآنية
٧. التربية الإسلامية (بالاشتراك)
٨. التربية الوطنية للصف العاشر (بالاشتراك)
٩. مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي
١٠. موسوعة رفح .. الأرض والإنسان (بالاشتراك)
١١. الدوحة الندية في منهاج التربية القرآنية جزء عم.
١٢. التجاوب القرآني
١٣. التربية القرآنية ..المنطلقات والتطبيقات
١٤. دراسات في الفكر التربوي الإسلامي
١٥. مستهدفون في عصر العولمة .. الشباب والمناهج التربوية
١٦. الإصلاح التربوي ودوره في التنمية البشرية.. فلسطين نموذجاً
١٧. ثقافة المقاومة (المقاومة والإرهاب) ج٢

تحت الطبع:

١٨. التربية وتنمية المجتمع (بالاشتراك)

١٩. رؤى معاصرة لتعليم متميز